الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها
الثقافة والارشاد القومي

الاشتراكات ١٥٠ قرشا سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

العدد ١٠٧٧ – الخميس ٢٦ ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ – ٣ سبتمبر ١٩٦٤ م – السنة الثانية والعشرون

التجديد الديني

للدكتور محمد أحمد خلف الله

– ٥ –

الأصل فى الأشياء الاباحة ، ولا يكون تحريم الا بنص .

وتلك قاعدة شرعية يعرفها جميع المشتغلين بالتشريع ، وبوضع القوانين .

والقرآن الكريم يقدم لنا من الشواهد الشيء الكثير العدد ، ولكنا نكتفى فى هذا المقام بشاهد لا شاهد بعده ، شاهد يرينا الى أى حد كان الاسلام رحيب الصدر ، واسع الافق ، والى أى حد كان يحمل فى ثناياه من المتناقضات ، التى يحملها ويصطبر عليها حتى يتمكن من القضاء عليها ، واقتلاعها من جذورها ، وحتى يقيم التحليل أو التحريم بعد المنع أو الاباحة .

والشاهد الذى نسوقه هنا مرتبط بالعلاقات الاجتماعية التى كانت قائمة بين المؤمنين والكافرين، أو بين المسلمين والمشركين :

لقد نزل القرآن الكريم محاربا الشرك وعبادة الأوثان ، ولم يتهاون فى ذلك فى أية لحظة من اللحظات .

ولقد سكت القرآن الكريم عن بعض العلاقات الاجتماعية التى تقوم بين المسلمين والمشركين . ورأى النبى عليه السلام ، ورأى الصحابة معه أن هذا السكوت معناه عدم المنع أو التحريم ، ومضوا فى علاقاتهم الاجتماعية السابقة على الاسلام ، مع الكفرة والمشركين .

وكان من بين هذه العلاقات التزاوج ، فلقد ظل التزاوج بين المسلمين والمشركين قائما طوال العهد المكى ، والسنتين الأوليين من العهد المدنى – ظل قائما حتى نزلت آيات التحريم :

- **ولا تنكحو المشركات حتى يؤمن ...**
- **ولا تنكحو المشركين حتى يؤمنوا ...**
- **ولا تمسكوا بعصم الكوافر .**
- **يأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن .**

عند ذلك أصبح التحريم هو الحكم الشرعى ، وعند ذلك أيضا فرق النبى بين المسلمات والكافرين ، وبين المسلمين والكوافر .

وكان من اللائى وقع التفريق بينهن وبين أزواجهن الكافرين ابنتان للنبى عليه السلام .

هذه القاعدة الشرعية « **لا تحريم الا بنص** » من القواعد التى يجب أن نعض عليها بالنواجذ ، لأنها تفيدنا كثيرا فى هذا العصر الذى نعيش فيه، والذى نحتاج فيه الى شيء كثير من تجديد التفكير الدينى .

هذا النص الوارد فى التحريم قد يكون نصا من القرآن الكريم ، وقد يكون نصا من الحديث النبوى الشريف – نصا واضحا ، بينا ، **قطعى الدلالة** ، مفيدا لليقين .

كما قد يكون نصا لجماعة المجتهدين من فقهاء المسلمين – أى أنه تحريم صادر عن الاجماع ، أو أن الأصل فيه هو الاجماع :

والمسالة التى نريد ان نلفت اليها ذهن القارىء هى موقف المسلم من هـــذه التحريمات ، هل هى بمنزلة واحدة أو هناك تفاوت ؟

انى اترك القارىء لنفســـه ، وأعينه فقط بان أستثير فى ذهنه هذه التساؤلات :

ان ارتكاب المحرم فى حالة مخالفة نصـــوص القرآن الكريم أو الســـنة النبوية يكون موجبا لنوعين من العقوبات :

عقوبة فى الحياة الدنيا يوقعها الامام أو من يقوم مقامه ، وتكون بالسجن أو بالتعذيب .

وعقوبة فى الحيـــاة الآخرة من المولى جل وعلا بالالقاء فى عذاب الجحيم .

فهـل فى مخـالفة النص الذى الأصل فيـه هو الاجماع نفس النوعين من العقوبات أو يكتفى فيها بالنوع الأول وهو العقوبة الدنيوية ؟

هل يعاقبنا المولى جل وعلا لمخالفتنا أقـــوال الفقهاء عقابا أخرويا ، أو يكتفى بتلك العقوبة التى يوقعها الامام وهى العقوبة الدنيوية ؟

انى شخصيا أرى أن الاجماع ليس الا لونا من ألوان **التشريعات المدنيـة** التى تسود الجمـاعة فى وقت من الأوقات ، والتى تحرص عليها الجمـاعة ما دامت محققة للمصلحة العامة ، وملبية لاحتياجات الناس .

بقيت كلمة أسوقها قبل أن أنتقل من هـــذه القاعدة الى قاعدة شرعية أخرى هى **أن من المجتهدين المسلمين من خالف اجماع الفقهـــاء ، ولم ير فى مخالفته باسا .**

لقد اجمع الفقهاء على أنه: يحرم بالرضاع مايحرم بالمصاهرة .

وهذه قاعدة وصلوا اليها باجتهادهم واستنباطهم ولكن ابن تيمية لم يذهب الى هـــذا الرأى الذى لم يشر اليه قرآن أو حديث، فقد نقل عنه : ان تحريم المصاهرة لا يثبت بالرضاع ، فلا يحرم على الرجل نكاح أم زوجته وابنتها من الرضاع ، ولا يحرم على المرأة نكاح أبى زوجها وأبى أمه من الرضاع .

ولقد وقف ابن قيم الجوزية الى جانب ابن تيمية فى هذه المسالة مشيرا الى ان القرآن الكريم قد تعرض لهذه المسالة فى اجمال ، وأن النبى عليـه السلام حين شرح هذا الاجمال وقف عند حـدود النسب ولم يتجاوزها الى المصاهرة .

ولقد رأى **النبى** أنه يحرم بالرضـــاع ما يحرم بالنسب وليس من حقنـــا أن نتجاوز النسب الى المصاهرة .

ان هذين الشيخين انما يريان أن التحريم لا يمكن أن يكون الا عن الكتاب أو السنة الصحيحة .

وهذه القاعدة لها قيمتها الكبرى فى حياتنـــا اليوم ، من حيث أن أعمالنـــا الجديدة التى نرغب فيها نتبين وجه الحرمة فيها من كتاب الله أو ســنة رســوله ، فان لم يكن هناك نص على الحرمة فهى مباحة ولو كره الفقهاء ورجال الدين .

ان الأصل فى الأشياء الاباحة ، ولا تكون محرمة تحريما دينيا الا اذا استند هذا التحريم الى نص من الكتاب أو السنة .

وهـــذه القاعدة الشرعية يمكن أن تتخذ نقطة انطلاق فى حياتنا الجديدة .

فجميع مشروعاتنا المستحدثة كغزو الفضـــاء ، واستخدام الطاقة الذرية فى السلم ، تدخل فى باب الاباحـــة من حيث أنه لا نص فى الكتاب أو السنة على تحريمها .

بل نستطيع أن نذهب الى أن جميع المشروعات المستحدثة لا تحتاج الى فتوى من رجال الدين ، اذ من المسلم به أن الكتاب والسنة لم يتعرضـا لها لأنها لم تكن موجودة ، وهذا وحده يكفى فى الذهاب الى القول بأنا لن نحتاج الى فتوى شرعية من رجال الدين .

ننتقل الآن الى **قاعدة أخرى** انفرد بالقول بهـا «أبو يوسف» صاحب أبى حنيفة وقاضى قضاة بغداد فى زمن العباسيين .

يذهب أبو يوسف **الى أن الحكم الشرعى المبنى على العادة يعطل اذا تغيرت العـادة ، ولا ضير من مخالفة النصوص .**

والمسالة التى أوردها اليوم بيانا لرأى أبى يوسف وتوضيحا لهذه القاعدة هى مسالة الغنائم الحربية .

فالغنائم عند المسلمين هى :

(أ) الرجال المقاتلون ـ أى الجند .

(ب) غير المقاتلين وهم النســـاء والأطفـــال أو الذرارى .

(ج) الأرضون .

(د) الأموال .

والى جانب هذه الغنائم التى تقسم ، وتخمس الأسلاب وهى ملك للقاتل حسب النص المعروف الذى كان مطبقا فى ميدان القتال وهو : من قتل قتيلا فله سلبه .

والسلب ماكان يلبسه المقتول من ثياب ، وماكان عليه من عدة حربية وعتاد ، وفرسه الذى كان يقاتل عليه ، وما وجد فى جيبه من زينة واموال .

وحكم الشرع الشريف فى بنى الانسان . أن الامام أو من يقوم مقامه مخير فى الأسرى المقاتلين بين القتل ، والاسترقاق ، والفداء ، والمن . فله أن يقتل الجندى الأسير ، وله أن يسترقه ويبيعه بيع الرقيق .

أما النساء والأطفال فليس له أن يقتلهم . انهن السبى الذى يوزع على المقاتلين ، ومنزلتهن هى منزلة الجوارى والاماء ، ولمن وزعت عليه الحق فى استخدامها ، والاستمتاع بها ، وبيعها .

أما حكم الشرع الشريف فى الأراضى التى فتحت عنوة فهى أن تصبح ملكا للامام او ملكا للدولة الاسلامية ووقفا عليها . وللحاكم أن يوزعها على المسلمين على أنها أرض عشرية ، أو على غير المسلمين من أبناء الدولة المفتوحة الذين بقوا على دينهم على أنها ارض خراج .

ان ملكية الأراضى فى مثل هذه الحالة تكون للدولة على كل حال .

أما الأموال فتقسم بعد أن تخمس ، ويكون للراجل سهم ، وللفارس أكثر من سهم ، لان فرسه يدخل فى الحساب . ومن الملاحظ أن الأسهم التى تكون للفرس أكبر من تلك التى تكون للراجل او لصاحب الفرس ، فللفارس سهم ، وللفرس سهمان .

هذه الأحكام الشرعية وجدت يوم كانت الدنيا كلها تجرى تقريبا على هذه القواعد أو على تلك العادات .

ونحن اليوم نمضى فى الحرب على أسس لم تكن معروفة للسابقين ، من مدفعية ، ودبابات ، وقنابل ذرية وغير ذرية ، وصواريخ .

ونحن اليوم نمضى فى معاملة الأسرى على أسس أخرى لم يعرفها الاولون .

فليس من حقنا اليوم أن نقتل الجندى المقاتل أو نسترقه .

وليس من حقنا أن نسبى النساء والأطفال ونسترقهم .

والغنائم كلها ملك للدولة ، وليس للجندى نصيب فيها ، وليس له أن يأخذ سلب من قتل ، بل انه لا يستطيع اليوم أن يتبين من قتله هو ومن قتله غيره ، ما دامت عدة القتال لم تصبح السيف ، وانما أصبحت القنبلة أو الصاروخ .

لقد تغيرت العادات ، وتغيرت القوانين تبعا لها ، وقوانين الحروب اليوم قوانين دولية وليست محلية أو اقليمية .

ان تغير كل هذا قد عطل نصوص الشرع الشريف الخاصة بالغنائم ولا ضير فى ذلك ولا ضرر .

ومن الخير لنا أن نقول بمثل ما قال به أبو يوسف من أن الحكم الشرعى الذى الأساس فيه العادات يتغير بتغير العادات ، وتلك هى قاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان .

واذا أردنا أن نتبين الى أى حد تصبح هذه القاعدة مفيدة ونافعة فلنفترض أن بلادنا هى التى فتحت .

هل نسمح للآخرين بأن يطبقوا علينا اليوم أحكام الشرع الشريف فى الغنائم ؟

هل نقبل أن يسترق الرجال وتسبى النساء ؟

أعتقد أن لا . لقد تغيرت العادات ولا بأس من تعطيل تلك الأحكام التى كانت مبنية على العادات .

بقيت كلمة قصيرة أتوجه بها الى **رجال الدين** والى علماء الأزهر الشريف ، وهى كلمة تتعلق بملكية الأراضى .

انهم من غير شك أولى الناس بتطبيق أحكام الشرع الشريف ، واحكام هذا الشرع تفيد أن أرضنا المفتوحة عنوة ملك للدولة ووقف على المسلمين ، فهل لهم أن يعلنوا أن أراضيهم التى تحت ايديهم ليست ملكا لهم ، وانما هى ملك للدولة ، وأنها تحت أيديهم على أنها أرض عشرية ، وأن ما دفعوه فيها من أموال للبائعين لهم كانت من قبيل خلو الرجل .

انهم ان فعلوا عاونوا فى تثبيت الاشتراكية عن طريق تطبيق أحكام الشرع الشريف .

الإنسانية وعلوم المادة

• للدكتور محمد مندور •

تثبت الانباء العالمية الكبرى أن الهوة التى تفصل بين التقدم المذهل فى علوم المادة والتخلف الواضح فى الانسانيات تزداد اتساعا .

ففى علوم المادة أذيع **أن سفينة فضاء امريكية قد وصلت الى القمر ، وفى الوقت نفسه تتوالى الانباء بمحاولة الاقوياء البطش بالضعفاء ، أو من يظنونهم ضعفاء مما يشهد بانحطاط هؤلاء الاقوياء فى الانسانيات** ، فامريكا تشن حملة تاديب ضارية على فيتنام الشمالية تدمر بهما المدن وتقتل الابرياء بدعوى أن قنبلة طوربيد صغيرة قد أصابت احدى بوارجها التى لا ندرى ماذا كانت تفعل عند سواحل جنوب شرقى آسيا ، وذلك دون أن تنتظر حتى مجرد التاكد حتى من مصدر هذه القنبلة وسبب اطلاقها ، وكأنها كانت متربصة لفيتنام الشمالية منتظرة أى تعلة تافهة لكى تضربها لمجرد أن فيتنام الشمالية ترفض تسلل السيطرة الامريكية على بلادها بل وتعين أحرار فيتنام الجنوبية على التخلص هى الاخرى من تلك السيطرة التى منعت فيتنام الجنوبية حتى اليوم من تقرير مصيرها فى حربه واختيار نوع الحكم والسياسة الاقتصادية والاجتماعية التى تراها أكثر صلاحية لشعبها . وفى الجنوب العربى يزداد شعار الاستعمار البريطانى وحشية كلما ازدادت ثورة أهله فى سبيل الحرية والاستقلال وتقرير المصير حماسة مشروعة بل واجبة ، وفى قلب البحر الأبيض المتوسط تحشد تركيا أساطيلها وتطلق أسراب طائراتها المقاتلة على قبرص لضرب مدن وقرى أهلها من اليونانيين الذين يكونون الغالبية الساحقة من سكانها ، لا لشىء الا لأن هذه الأغلبية ترفض تقسيم الجزيرة بينها وبين الأقلية التركية العنيدة الحمقاء ، وكأن تركيا تريد أن تجعل من قبرص اسرائيل أخرى بتشتيت سكانها الأصليين من الاغريق وفرض السيطرة التركية عليها بواسطة الأقلية التافهة من الاتراك الذين تسللوا اليها .

كل هذه الانباء المفزعة تشهد بما سبق أن قررناه من أنه فى الوقت الذى ستتقدم فيه علوم المادة على نحو ما هو واضح فى النجاح فى غزو الفضاء بواسطة السفن الذرية ياتينا من الانباء ما يقطع بتخلف الانسانيات والضمير الاخلاقى الذى كان من الممكن أن يكبح جماح العدوان وسفاهة القوى الذى يريد أن يبطش بمن يظنه أقل منه قوة .

والواقع أن تخلف الانسانيات والضمير البشرى عن التقدم فى السيطرة على المادة عن طريق الكشف عن أسرارها وقوانينها ظاهرة موغلة فى القدم ، فمن الثابت اليوم تاريخيا وبفضل أبحاث علماء ما قبل التاريخ أن الانسان البدائى كانت أولى خطواته نحو التحضر والاستقرار البدء فى سيطرته على الطبيعة وتسخيرها لمصلحته وذلك عندما أخذ يستنبت بنفسه النبات ويستأنس الحيوان ويصنع سلاحه من « حجر الصوان » ويكتشف النار التى تدفئه وتنضج طعامه ، وترجع تلك الخطوات الأولى الى مليون سنة ، وذلك فى حين أن العلماء لم يستطيعوا أن يرجعوا انبثاق فجر الضمير الانسانى الى أبعد من خمسة آلاف من السنين وكان أول انبثاق لهذا الضمير فى بلادنا مصر على نحو ما أثبت المؤرخ الكبير « **بريستد** » فى كتابه العظيم « **فجر الضمير** » الذى نقله الى العربية عالمنا الأثرى الكبير « **الدكتور سليم حسن** » وكان انبثاق فجر الضمير الانسانى معناه بدء الانسان فى استكمال معنى الحضارة بالبحث عن المبادىء التى تمكن هذا الانسان من قيادة نفسه والسيطرة عليها وردع غرائز الشر والعدوان المفطورة فيها ، ومن المعلوم أن

الحضارة معناها عند المفكرين سيطرة الانسان على الطبيعة وسيطرته على نفسه وقدرته على قيادها .

وهكذا اثبت البحث عن بدء الحضارة البشرية ان سيطرة الانسان على المادة قد سبق بمئات الالاف من السنين انبثاق فجر الضمير أي بدء محاولة الانسان السيطرة على نفسه وقيادتها .

والظاهر أن هذا التخلف من الانسانيات لم يستطع البشر تداركه حتى اليوم بل اخشى ان يكون قد ازداد وبخاصة عندما أفكر في تاريخ علوم المادة وفترات وأسباب ازدهارها وتقدمها فأذكر أن الحروب ودوافع العدوان والتفنن في ابتكار الاسلحة والمهلكات قد كانت الدوافع القوية لتدعيم البحث عن أسرار المادة واكتشاف خصائصها وقواها الكامنة التى قد يفيد الكشف عنها الانسان فائدة لا حد لها كما قد تكون من أسباب دماره وهلاكه فمن المؤكد مثلا انه لولا ظهور امكانية استخدام الطاقة الذرية فى صنع أسلحة الدمار الشامل لما خصصت للكشف عن تلك الطاقة الدول الكبرى الملايين من الجنيهات ، وكان من الارجح أن تخصص تلك الملايين للبحث عن أسرار خلية الجسم الانسانى وامكان تجديدها حماية للانسان من عادية الموت العاجل نتيجة لاستهلاكه خلاياه الحيوية اما بسبب الميكروب والمرض أو بسبب الشيخوخة ، كل ذلك كان من الممكن أن يحدث لولا تخلف الانسانية وازدياد صوت الضمير خفوتا عند البشر ، وأنا لا أتصور أنه من الممكن أن يتغلب البشر نهائيا على الموت ليضمنوا للانسان الخلود بجسمه ولكننى على الاقل أتوقع أنه لو وفرت الانسانية من المال والجهد للبحث عن أسرار « البروتوبلازما » قدر ما وفرت للبحث عن أسرار الذرة والطاقة الهائلة التى انتزعتها منها لوصلنا قريبا الى تحقيق وضمان تنفيذ القانون العام الذى أثبت صحته علماء الاحياء وهو القانون القائل بأن كل كائن حى يمكن ان يعيش أى أن تظل خلاياه العارية والنبيلة منها حية وعاملة لفترة تعادل خمسة أضعاف المدة التى يستغرقها الكائن الحى المكون من تلك الخلايا ، ولما كان من الثابت أن الانسان ككائن حى لا يكتمل نموه على نحو نهائى الا بعد خمسة وعشرين عاما ، فمن الواجب ومن الممكن أن يظل حيا مدة مائة وخمسة وعشرين عاما ، أى خمسة أضعاف مدة اكتمال نموه . ولولا الميكروبات والآفات والاعراض المرضية لاستطعنا أن نضمن هذ العمر لكل انسان ، وانه لمن المخزى للبشر أن يعجزوا حتى اليوم عن الوصول الى تحقيق وتنفيذ هذا القانون العضوى العام وذلك فى الوقت الذى يتيهون فيه زهوا لاكتشاف أسرار الذرة المادية . ثم نراهم يستخدمون طاقتها الهائلة فى اعداد أسلحة الدمار الشامل، بدلا من استخدامها لمصلحة الانسان وخيره . وفى كل هذا أكبر دليل على ازدياد الهوة اتساعا بين تقدم علوم المادة وتأخر الانسانيات .

وفى رأيى أن زيادة عمر الانسان والوصول به الى مائة وخمسة وعشرين عاما سوف يكون عاملا فعالا فى تقدم الانسانية ونمو الضمير الانسانى وذلك لانه كلما ازداد الانسان معاشرة للحياة وتجاربها ازداد حكمة وازداد ضميره نموا ووضوحا وحزما لان تجارب الحياة كفيلة بأن تثبت أن التزام حكم الضمير لا يضر بمصالح الانسان المادية بل يزيدها يسرا . ولسوء الحظ لا يكاد الانسان يقترب من الحكمة حتى يعاجله الموت ، فيمضى بحكمته التى قد تورث نظريا ولكنها قلما تورث عمليا كمنهج للسلوك الانسانى ، وذلك لان الانسان قلما يستفيد من تجارب الغير ولابد لكل جيل من أن يقوم بتجاربه الخاصة ، وأن يدفع ثمنها مهما كان باهظا . وهذه هى محنة الانسان الاخلاقية الحقة ، وكأنه مقضى عليه أن يستأنف الشوط باستمرار ، وأن يلقى فيه ما لقيه سابقوه من عثرات ، أو كأنه سيزيف الذى حكمت عليه آلهة اليونان القدماء بأن يدحرج حجرا ضخما ليصعد به سفح جبل عال ، فهو يدفعه دائما الى أعلى بكل قوته وجهده المضنى ولكن الحجر يعود فينزلق الى أسفل وهكذا دواليك .

ولكن أما من مخرج من هذه الحلقة المفرغة ؟

نعم ، هناك مخرج وهو ارادة الانسان الواعية القادرة على أن تعمل للنهوض بالانسانيات بنفس السرعة والحزم اللذين أديا الى تقدم علوم المادة وازدهارها فى عصرنا الحاضر هذا الازدهار العظيم ، بل وبسرعة أكبر حتى نتدارك ذلك التخلف الذى يرجع كما قلنا الى مئات الآلاف من السنين فى انبثاق فجر الضمير الانسانى .

نظرات فى الشعر العراقى المعاصر

للدكتور بدوى طبانه

شاعرية حافظ جميل

- ٤ -

وأحسب أننا نقصر فى حق قارىء هذه الكلمات بل فى حق شاعرية حافظ جميل اذا تجاوزنا جانبا من أهم الجوانب التى اشتهرت بها وتفرعت فيها ، حتى حسب كثير من المعجبين بحافظ جميل أنه لايعيش الا لها ، ولا يفضى بمكنون شاعريته الا فى مناجاتها .

والجانب الذى نقصده هو ذلك الشعر الذى أخلصه حافظ لوصف الخمر ، وشرح فيه هيامه بها وولوعه بصحبتها .

وفى بعض ماقدمنا عن حافظ اشارة الى خمرياته والى قصيدته التى أنشأها فى مناجاة كاسه ، واشارة الى أن تلك المناجاة تبدو ثمرة تجربة صادقة وأثر صحبة طويلة محببة :

يالك من بيضاء حببت لى
حتى بياض الشيب فى راسى
واصلتنى الخمسين لم تضجرى
والغيد يضجرن من الخمس

وهو لا يطيق ساعة تنقضى من عمره من غير راح ولا أنس ، بل لايعد تلك الساعة من يومه ولا غده ولا أمسه ، بل هى مبتوتة من عمره :

تبا لعمرى ان مضت ساعة
منه بلا راح ولا أنس
لا تلك من يومى ولا من غدى
حتى ولا المقبور من امسى
حسبى هياما فيك أن أجتلى
مرآك ما أصبح أو امسى
وأزدرى الدنيا وما خبأت
لى فى غد من طالع نحس

ان حافظ جميل لايداجى فى ابراز تلك الصحبة ، لانه لايشتهى أن يطالع الناس بوجه غير وجهه الحقيقى ولا يعبأ بما يرضى أو ما لايرضى ، الا بما ينبغى لشعره الذى جعله ترجمانا لنبض وجدانه من جمال التعبير عن صدق التجربة وحقيقة الشعور . ولم يرد حافظ جميل أن يكون ذلك المدارى للناس المصانع للمجتمع الذى عناه حكيم المعرة بقوله :

يحرم فيكم الصهباء صبحا
ويشربها على عمد مساء
يقول لكم غدوت بلا كساء
وفى لذاتها رهن الكساء

وانما أراد أو لم يستطع الا أن يكون صادقا ، والا أن يكون شعره الصورة الصحيحة الصادقة لأحاسيسه ووجداناته ، ومن هنا كان اخلاصه لفنه باخلاصه فى الكشف عن حقيقة نفسه وحقيقة مشاعره وحقيقة حياته .

ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التى دعت حافظا الى الولوع بالراح ، والهيام بالكاس حتى استبدت به ، وجعلته واحدا من ألافها ، وعلما من أعلام مطربيها وواصفيها فى أدب سائر العصور .

ولكننا نستطيع أن نرى فى شعره ملامح من فلسفة التشاؤم من الحياة ومن المجتمع الذى عبر عن علله وآفاته وعن مصارع الاخلاق فيه ، ويبدو أن ذلك التشاؤم قد أخفى عن حافظ كثيرا من مفاتن الحياة ومباهجها ، فاصبح لايرى فيها الا معالم الشر وقد أخذت تطارده ، حتى لايجد لنفسه ملاذا الا فى أحضان الكاس تذهب فى ومضاتها اشجانه وتذوب فى رشفاتها همومه .

وفى قصيدته **شاعر** التى قلنا ان حافظا لم يعن بهذا الشاعر الا نفسه يصف قلقه وتبرمه بالحياة ،

فهو فى قلق دائم ، يقضى نهاره مترددا وليله أرقا لايغمض جفنيه الا رشفات من الراح :

تعس يرتل آى شقوته
والدمع أفصح ما يجوده
يطوى جديد نهاره قلقا
متوجسا حزنا يجدده
ويلوذ حين تطول ليلته
بالراح تعييه فترقده
راح ترد اليه راحته
من حيث ما تنفك تجهده
كم غلقت جفنيه من أرق
والقلب موصول تسهده

ولكن الشاعر ، وهو يلوذ بالخمر ، ويرى فيها ما يبدد آلامه ، وما يذهب عنه أرقه وضجره ، يعترف بأن الراح لاتنفك تجهده ، وانه فى مقارفتها ليس الا أسيرا لما تعود ، وان جانب التفكير وحكم العادة يصطرعان فى أعماق نفسه ، وأخيرا تصرع العادة المتسلطة دواعى الفكر وأسباب الرشد :

هيهات يصغى من تعودها
الا لما يملى تعوده
ان جاذبته نهاه جاذبه
رأس أشل الفكر مقعده
رأس يكاد يزل من ثقل
لولا أثافى الراح تسنده

اذن فهو الألم الذى أقض مضجع الشاعر ، وعو الحس المرهف الذى أحال حياته جحيما لايطاق وهى النظرة القاتمة الى المجتمع الذى استحال فى عين الشاعر مجموعة من الفساد :

فى بيئة فسد الجميع بها
لم يبق شىء بعد تفسده

كل أولئك دفع حافظا كما دفع آلافا غيره من هواة الراح وشرابها الى الفرار من الواقع المر ، والتحليق فى أودية الخيال ، وتعمد البعد عن عالم الوعى والشعور الى حيث يظنون المتعة والسلوى فى صحبة الراح ، وفى مجالس الطرب والأنس ، فانطلقوا — كما يقول حافظ جميل — يدفعون الشر بالشر ، ويداوون عللهم بأصل الداء :

اذا دهمتنى رعشة الصحو بغتة
فزعت لكأسى أدفع الشر بالشر
كأنى وما غير الكئوس عصابتى
أشاغل دهرا من نكال ومن غدر
يزايلنى غمى بجرعة خمرة
وأصحو وماغمى سوى جرعة الخمر
وابدو كمعلول به ألف علة
وما بى من داء سوى تعب الفكر
ومن كان مثلى فكره الدهر متعب
فأخلق به الا يفيق من السكر

وعلى الرغم من استغراق الشاعر فى تجاربه الخمرية التى اضطرته اليها حساسيته ، وتبرمه من الفساد الذى غشى جوانب من المجتمع ،لم تفارقه يقظة ضميره ، ولم يزايله فرقه من مغبة ماهو مستغرق فيه ، فيقول :

ألا ان عبء الراح أثقل كاهلى
وظنى به أن سوف يقصم لى ظهرى

ويقول ان الراح (**ما تنفك تجهده**) وانها ان استطاعت أن تغمض جفنيه فلا تستطيع أن تقضى على السهد الموصول فى قلبه ، وان نهاه يجاذبه نحو الاقلاع عن ذلك الداء ثم يغلبه الرأس المشلول والفكر المقعد ، وانه يدفع شرا بشر ، وان جرعة الخمر اذا شفته من قلقه وحيرته لحظة فانها سر قلقه وغمه اذا صحا ، وان به منها ألف علة ، وليس تعلقه بها الا أثرا من اثار التعب المضنى والفكر المكدود !

وكان ذلك فى قصيدتيه **(بداية النهاية)** و **(شاعر)** وقد أنشأ الاولى سنة ١٩٤٥ وأنشأ الاخرى سنة ١٩٤٩ ، ولكنا نسمع منه نغمة جديدة فى قصيدة (الكأس) وهى من أحدث شعره الذى أنشأه سنة ١٩٦٤ ، اذ نراه فى تلك القصيدة يشيد بالخمر اشادة المكبر لها ، بعد أن كان يرى نفسه مغلوبا على أمره فى معاقرتها ، بل انه ليذهب الى أنها وحدها التى تكشف غمته ، وأن ايغاله فى شربها آية من آيات العفاف والتقى ، وان الذين ألفوا الافك والدس غير جديرين بمعاقرتها ، ثم هو فوق ذلك لايرى الخمر رجسا من عمل الشيطان ، بل يرحب برجس الخمر اذا لم يكن بد من مخالطة الرجس فى هذه الحياة الدنيا ،وكأنه يقول انها أخف البلاء ، لان بلواها لاتتجاوز صاحبها الى غيره :

كم غمة باللهو فرجتها
تستنفر الموتى من الرمس
وأعظم أوزارى اذا لم أزد
فيك عفافا وتقى نفس
كم حرم العبد على نفسه
ما حلل الله على النفس

لا دارت الخمر على فاسق
واصلها بالافك والـــدس
ومن سوى الكاس اذا عوقرت
ميزت الشهم من النكس
فما له يرتاع من ســكرة
تكشف عن أخلاقه الشكس
هات مــع الآلام من بلسم
كالخمر عند المرهف الحس
واى رجس هــو أن تحتمى
من جور أيامك بالــكاس
يا حبذا الرجس اذا لم يكن
بد لدنيــاك من الرجس

ويبدو أن خمسة عشر عاما لم تستطع أن تحرر الشاعر من القيد الذي كان يشــكو ثقله ، او من العادة التى كان يتمنى الخلاص منها ، بل زادته تشبثا بالقيد ، وايغالا فى التجربة ، حتى دفعــه الاستغراق فيها الى قول غريب ، وهو أن العبد هو الذى حرم على نفسه الخمر ، وانى الله تعالى أحلهــا للقسس والرهبــان ، فى حــين أن العكس هو الصحيح .

ولكنا لانحسب الانكار للشرائع فى تلك المسالة كان غرض الشاعر ، وانمــا كان الاستغراق فى التجربة والاسراف فيها نتيجة لحدة الانفعال الذى ساقه الى مثل ذلك الاسراف فى التعبير ، وذلك باب من الغلو يراه بعض النقاد أشبه بطبيعة الفن الادبى وسائر الفنون التى لايقتصر أصحابها من أهل الفن فى ابراز افكارهم ومعانيهم على المالوف ، ويفضلونه على الاقتصار على الحد الأوسط ، وغايتهم من ذلك التاكيد الذى يبرز التجربة ويثبتها فى الاذهان .

ومن طرائف الخمريات فى شعر حافظ جميــل ما اثبته فى **(نبض الوجدان)** وسجل به بعض ما كان بينه وبين بعض أصفيائه ، فقد بعث اليه واحد منهم بعشر زجاجات من «الرحيق المختوم» فلم يصل الى الشاعر منها سوى ثلاث فقط ، فكتب اليه يداعبه :

ألم تبعث بهن الى عشرا
مختمــة بطغراء العقيق
فمالى لاأصيب سوى ثلاث
ضحاضح لا تكاد تبل ريقى
فهل لك أن تعززها بخمس
تعدينى ولو نصف الطريق
الشقى هــكذا أبدا برزقى
والقى الحيف حتى فى الرحيق

ويشير فى هذه الابيات الى صديقه الاستاذ **خالد الدرة** ، وكان هو الذى حمــل الزجاجات العشر ليوصلها الى الشاعر ، فاحتجز لنفسه سبعا منها ، ولم يوصل الى الشاعر الا ثلاثا فقط ، فقال حافـظ جميل مداعبا :

رماني بابن درة ســوء حظى
واوقعنى به فى كـل ضـيق
فــاف يابن درة منــك اف
فما انا منـك بعد بذى وثوق
اذا صبحت يومك دون خمـر
شربت وما حفلت دم الصديق

وهذه الصراحة التى نقرؤها بوضوح فى شـعر حافظ جميل سواء فى شعره الذى وصف فيه خمره ولهوه أو فى شعره الوطنى ، تمثل فى حقيقتها ثورة على المصانعة والرياء ، وقد رآهــا الشاعر مظهرا للاستكانة وضعف النفوس ، وتمثل ثورة على محاولة اخفاء المشاعر الحقيقية وراء دوافع الترغيب ودواعى الترهيب :

ومن هنا أرخى حافظ لنفسه عنان الهوى ، وأرخى لشاعريته عنان التعبير عن حقيقة مشاعره وتجاربه من غير أن يحسب لغير الصدق فى الحديث عن النفس حسابا ، وهو الذى يقول فى مطلع قصيدته **(بداية النهاية)** .

هى النفس أجرى فى هواها كما تجرى
ولا اتوخى العــذر ان فاتنى عــذرى
يعيب على الناس ســافر لذتى
ولم أر عيبا كاضطرارى الى الستر
أرى الناس لايطرون الا مخـادعا
والا أخــا جبن والا أخا مــكر
وحسبك خدعا أن يضام أبيهــم
فيهمس بالشكوى ويهتف بالشكر

وبعد ، فلعل المدرسة النواسية فى الشعر العربى لم تظفر فى تاريخها بكثير من أمثال حافظ جميــل الذى أبدع فى صفة الخمر ابداعه فى سائر النواحى التى طوف بها ، والفنون التى تناولها .

واعتقد أن هذه الكلمات أشبه شىء بالصوى التى تدل على معالم الطريق ، وتفتح البــاب لدراسات خصبة فى شاعرية حافظ جميل الناضجة التى يحتل بها بجدارة منزلة رفيعة بين عباقرة أهــل الفن والادب .

هذا تراثكم الشعري يا شباب العرب

للدكتور محمد النويهي

نعود الى البيتين الرابع والخامس من مرثية أبي ذؤيب الهذلي ، بعد أن نظرنا في كل منهما على حدة، حتى نقارن بينهما ، ونزداد التفاتا الى براعة الشاعر في تنويع وسائله الادائية . ففي البيت الرابع :

فاجبتها : اما بجسمي أنه
أودى بني من البلاد فودعوا

وجدنا وسيلته الغالبة هي استعمال المدات الثلاث المعروفة في العربية ، من الـألف الى ياء الى واو ، والتنويع بينها طولا ودرجة وشدة ، مع اختتامها بالصرخة الطاعنة للعـين المضعفة . وفي البيت الخامس :

أودى بني ! فاعقبوني غصة
بعد الرقاد وعبرة لا تقلـع

وجدنا وسيلته الغالبة بعد افتتاح البيت بتكرار الصرخة الطاعنة هي استخدام جرس الحروف لا الحركات الممدودة ، فهو يكثر من استعمال حروف الحلق .

والسبب العضوي الذي دفعه الى هذا التنويع بين الوسـيلتين ، هو ان البيت الرابع يعبر عن العاطفة في أقوى انطلاقها وثورتها ، ولذلك احتاجت العاطفة الى المدات . أما البيت الخامس ، فبعد افتتاحه بتكرار الطعنة النافذة ، يعود الشاعر فيه الى محاولة التماسك وكبح العاطفة الثائرة ، ومن هنا يختنق صوته بتلك الغصة التي تطرأ على حلقنا حين نبذل الجهد في كظم انفعال قوي ومحاولة الحديث بصوت هادىء .

ومن هنا أيضا يتجلى لك سر من أسرار الصدق العظيم في هذه الأبيات . وهو تراوحها في انفعال العاطفة صعودا وهبوطا ، وحدة وارتخاء ، وصياحا واختناقا ، وشحذا وغلظة .

انك اذا راقبت في واقع الحياة رجلا يعبر عن عاطفة قوية ، ويستمر تعبيره زمنا ، فلن تجده يستمر في صراخه الا مدة معينة ، يصيح فيها ويرعد ويتحدى ويصرخ . ثم يأخذ معرته التعب والكلال ، فيرتخي ويهبط ، ويصدر أنات مختنقة وبحات غليظة جشاء ، يستمر فيها فترة حتى يستريح صدره بعض الشيء، ثم يعاود صـياحه وثورته العاليـة . وهكذا يظل صـوته متقلبا بين رتفـاع وانخفـاض ، واحتداد وعمق،(بالمعنى الموسيقي المضبوط لهذه المصطلحات)، الى أن ينتهي من ثورته العاطفية ويتم تنفيسه عنها ، فيهدأ ويسكن .

فهـا انت ذا قد رأيت أبا ذؤيب ، بعـد أن بلغ صوته في البيت الرابع ما بلغ من الحدة والشدة ، عاد في هذا البيت ، بعد تكرار صرخته ، الى الهبوط فقلبته الأصوات الحلقية المجهدة المختنقة ، بعـد أن انهكته المدات الصارخة المرتعدة . فحروف الحلق هنا تعبر عن أشياء عديدة . تعبر عن هذا الاجهـاد الذي دخل صوته بعد صراخه العنيف فاضـطر الى الهبوط التماسا لقدر من الراحة . وتعبر عن محاولته العامدة أن يأخذ نفسه الآن بقدر من التجلد والكظم بعد أن أطلق لثورته العنان في البيت الماضي وفي أول هذا البيت . وتعبر عن صـدق اسـتجابته الأدائية لمعنى البيت حين يصور الغصة المختنقة التي تستولي على حلقه بألفاظ لاتؤدي المضمون بمعناها اللغوي فحسب ، بل تلونه تكوينا عضويا بجرس حروفها الحلقية الثمانية المتعاقبة .

وعليك منذ الآن أن تتتبع هذا التراوح العاطفي بين صعود وهبوط في كل مرثية صادقة . أما اذ قرأت مرثية يحتفظ فيها الناظم بالنبرة الصارخة في عدد كبير متعاقب من أبياته دون هبوط أو راحة ، فلك ان تشك في أنه كاذب مفتعل ، لا يعبر عن عاطفة حزن حقيقية ، فهو أقرب الى النـادبات المأجورات اللائي يؤجرن على مواصلة الصراخ ، وكلما ازدادت

مقدرتهن على الاحتفاظ بهذا العلو مدة طويلة راجت سوقهن وكثر الطلب عليهن فى المآتم .

اما وقد هبط ابو ذؤيب وأراح صوته بعض الشيء فى بيته الخامس ، فلنأت الى بيته السادس لنرى كيف يعود الى الثورة العارمة :

«سبقوا هوى ! واعنقوا لهواهمو
فتخرموا ! ـ ولكل جنب مصرع

ما أن تقرأ هذا البيت حتى يتضح لك انه عاد الى الصياح العالى الحاد . يتجلى هذا فى جملته الأولى : « سبقوا هوى ! » فهى على نفس ايقاع « أودى بنى » واختتامها بطعنة الياء المشدودة العظيمة النفاذ . وهكذا يكرر ابو ذؤيب للمرة الثانية هذه الطعنة المؤلمة ، الا انه وقد استعمل « أودى بنى » مرتين من قبل ، لم يشأ أن يكررها بعينها مرة ثالثة لئلا يحملنا على الملل ، فكرر الايقاع والطعنة بلفظ جديد يؤدى مضمونا جديدا ، وما أدل هذا على مهارته الموسيقية الكبيرة .

ولكن لا تترك « هوى » هذه حتى تسأل : لماذا استعمل ابو ذؤيب هذا البناء المعين الغريب للكلمة ؟ لماذا قال « هوى » ولم يقل « هواى » فيستقيم وزنه أيضا ؟ هنا يساعدنا الشارح القديم مساعدة كبيرة بان يخبرنا ان هذه لغة هذيل . أى ان قبيلة هذيل التى منها أبو ذؤيب ، حين تضيف ياء المتكلم الى كلمة مختومة بالألف ، تقلب هذه الألف ياء وتدغمها فى ياء المتكلم ، فتقول هوى وعصى وفتى ، بدلا من هواى وعصاى وفتاى ، وهى لغة قريش .

لكن هذا الشرح اللغوى لايكفينا ، لأننا نعود فنسأل : لماذا اختار أبو ذؤيب فى هذه الكلمة بالذات ان يتبع لغة قبيلته ؟ أو تراه اتبع هذه اللغة فى سائر الفاظه ، أم اتبع لغة قريش التى كانت هى اللغة الأدبية الفصحى ؟

لا يكفى فى الاجابة على هذا السؤال الجديد ان نقول انه اتبع لغته هنا لأن صيغة « هوى » فى ايقاعها ونغمها اقرب انسجاما مع كلمة « بنى » مما لو قال « هواى » . فان هذا صحيح بالطبع ، ولكن هناك سبب أعمق ، يجعل استعماله للهجة القبلية الخاصة هنا ليس مجرد صنعة موسيقية ماهرة ، بل استجابة طبيعية صادقة لما تقتضيه العاطفة حين تبلغ أقوى انفعالها .

فالذى تلاحظه فى واقع الحياة هو أن أحدنا يأخذه غضب عظيم مفاجىء ، أو ألم شديد مفاجىء ، فيصيح صيحة فورية للتعبير عن هذا الغضب أو الألم ، وتأتى صيحة هذه على نبرة لهجته المحلية ، فى الحى من أحياء المدينة أو فى القرية أو الاقليم . وربما يكون هذا الشخص فى حديثه العادى يأخذ نفسه باللهجة الراقية التى تدل على التثقيف والتهذيب وارتفاع المنزلة الاجتماعية . ولكن انظر كيف انه فى التعبير عن غضبه أو ألمه المفاجىء يرتد الصعيدى الى لهجته الصعيدية ، والشرقاوى الى لهجته الشرقاوية ، ومن أصله من حى المدبح أو زينهم أو الدرب الاحمر الى لهجته « البلدى » .

وكاتب هذه السطور يذكر واقعة طريفة حدثت فى انجلترا اثناء الحرب العالمية الثانية . وهى أن بعض الشرطة شكو فى رجل يركب القطار ورجحوا أنه جاسوس متخف . وكان الرجل يتكلم الانجليزية بطلاقة تامة ولهجته لاتشوبها لكنة أجنبية . فتعمد أحدهم ان يدوس على قدمه دوسة قاسية مفاجئة . فلما صرخ الرجل الصرخة الألمانية المعبرة عن الألم ، لا الصرخة الانجليزية ، تأكد الشرطة من صحة ظنهم ! وقبضوا عليه .

فأبو ذؤيب لا يلجأ فى صرخته الجديدة « سبقوا هوى » الى لهجته الهذلية لمجرد اجادة الصنعة الموسيقية وتسوية القالب ، وان كان هذا ينتج بطبيعة ترديد الايقاع والجرس ، بل لأنه وقد عاد الآن الى انفعاله الحاد لم يجد مناصا من أن يصرخ بلهجته القبلية الخاصة ويترك صيغة قريش الأدبية المعتمدة .

تزداد هذه الحقيقة لك جلاء حين تفكر فى معنى البيت وما فيه من ادعاء عجيب يبلغ فيه أبو ذؤيب أقصى مرارته وحنقه من موت أولاده . فما معنى قوله انهم سبقوا رغبته وأسرعوا الى رغبتهم فى الموت ؟ وهل من المعقول ان يكونوا هم الذين اختاروا لأنفسهم الموت وأسرعوا اليه ؟

هذا لاشك ادعاء غير «معقول» ، لكن عدم «معقوليته» لا ينفى صدقه التام . فهو مايحدث حقا فى واقع الحياة ، حين يبلغ بالوالد حزنه ولوعته على وفاة ولده أن ينقلب الى غضب عنيف على الولد الميت نفسه . فالوالد المفروع الذى أطاش المصاب رشده

يخيل اليه حقا أن ولده قد تعمد الموت تعمدا ، وأنه تعمده لكي يغيظ والده المسكين ويصيبه بالحسرة . ولكي يعصيه ويعانده ! فهو يعلم مدى حب والده له ، وحرصه عليه ، لكنه مات عمدا لكي يتسبب له في كل هذا الألم والعذاب .

هل حدث لك أيها القارىء أن سمعت والدا - أبا أو أما - يرثي ولده بحرقة قوية ، ثم ينقلب فجاة فيصيح : كده تموت يا ابني وتسيبني ! كده تعملها في ! اخص عليك يا فلان ! كده آهون عليك الخ ...

والى القارىء مصداق ذلك من بعض ما تنشره جريدة « الأهرام » من كلمات الرثاء في صفحتها التي قبل الأخيرة :

- « يا من كنت لي نعم الشقيق . هل حقا فارقتنا منذ أربعين يوما ونحن أحوج ما نكون الى عطفك وحنانك ؟ وهل هان عليك مانقاسيه من حسرة ولوعة لفراقك مع أنك كنت في حياتك بلسما لجراحنا وآلامنا ...

- « فارقتني وانت في مقتبل العمر تاركا لي اللوعة والأسى ولم ترحم قلبي وكنت أملي في هذه الحياة ومؤنسي في وحدتي ... والدتك .

- « لقد فضلت الرحيل مع بابا وتركتني لتزيد النار اشتعالا ... والدتك الحزينة

- لماذا أسرعت الرحيل دون وداع ...

هذا هو القسم الأول من ذلك البيت « سبقوا هوى» . فلننظر في قسمه الثاني «واعنقوا لهواهموا فتخرموا » . نرى مباشرة أنه يعود الى الصياح العالي ويعبر عنه بالمدات المتعاقبة ، أي أنه يعود الى نفس الوسيلة التي استعملها في البيت الرابع . ولا يحتاج القارىء الآن الى أن نطيل الشرح كيف ينبغي أن يقرأ كل كلمة من الكلمات الثلاث بمضاعفة طول الواو خطوة بعد خطوة :

واعنقوا و .

لهواهمو وو ..

فتخرموا و و و و ...

وهنا مرة أخرى قد رمزنا الى الطول المتدرج بتكرار حرف الواو مرة ثم مرتين ثم أربعا ، وبوضع نقطة ثم نقطتين ثم اربع نقط . فليعد القارىء الى شرحنا للبيت الرابع في المقالة الماضية ليرى أيضا كيف ينبغي عليه بالاضافة الى زيادة الطول تدريجيا أن يتدرج في « الدرجة » ، حتى يزيد صوته حدة وفي « الشدة » ، حتى يزيده علوا في الكلمة بعد الكلمة . وعليه أيضا أن ينتبه الى ما في جرس مدة الواو من محاكاة قريبة لقشعريرة الألم الشديد الذي يرتعد به الصوت ، كما يحدث لأحدنا اذا كوت النار يده فجاة فاطلق تاوهه المهتز .

ولكننا نضيف الى شرحنا السابق ثلاث ملاحظات نرجو أن ينتبه اليها القارىء هنا .

اولاها : أن الشاعر اقتصر هنا على مدة الواو ، وهي كما شرحنا أشد الحركات العربية ضيقا واجهادا لجهاز النطق ، ولم ينوع بينها وبين مدة الألف ومدة الياء ، كما فعل في البيت الرابع . وسبب اقتصاره هنا على مدة الواو يكررها مرات ثلاثا هو انه يريد الآن ان يبلغ بصوته أقصى حدته وشدته . وسيرى القارىء في باقي أبيات القصيدة أن أبا ذؤيب بعد أن بلغ هذه الغاية القصوى في الحدة والشدة في هذا البيت لايعود اليها بعد ولا يحاول أن يكررها . فجميع صيحاته القادمة أقل درجة وشدة . وهذا منه دليل جديد على حسه الفني الصادق ، فهو ينفر من الاسراف في استغلال وسيلة فنية استكشفها حتى لا يحيلها الى وسيلة رخيصة مملة .

وثانيتها : أنه مهد لهذه الواوات الثلاث في اعنقوا لهواهمو فتخرموا » ، وتلتقط نغم هذه الواو البادئة يكون لهذا وقع مضاعف في الانسجام التنغيمي ، واشارة الى ضرورة الزيادة من ارعاد المدة وذبذبتها واوا بعد واو .

وثالثتها : أنه مع استعماله في هذا البيت السادس لنفس الوسيلتين الموسيقيتين اللتين استخدمهما في البيت الرابع ، فانه عكس هنا ترتيبهما . ففي البيت الرابع بدأ بوسيلة الصياح العالي المعبر عنه بالمدات ، وأعقبها بوسيلة الصرخة الحادة المعبر عنها بطعنة الياء المشددة في (بني) . اما في البيت السادس فهو يجيء أولا بصرخة الياء المشددة في (هوي) ثم يتبعها بمدات الواوات الثلاث . وفي هذا العكس للقالب الموسيقي تلويع جميل ممتع للتناغم الموسيقي ، كما ترى من وضعنا لهما هكذا :

٤ ـ فاجبتها اما لجسمى أنه

اودى بنى !

٦ ـ سبقوا هوى !
واعنقوا لهواهمو فتخرموا

وانظر الآن كيف توسط هذين البيتين بالبيت الخامس • فهذان البيتان الرابع والسادس اللذان يستعملان نفس الوسيلتين ولكن معكوستى الترتيب ، قد توسطهما الشاعر ببيت يبدأ بالتقاط وسيلة الطعنة الحادة ثم يتبعها بوسيلة ثالثة مختلفة هى حروف الحلق المختنقة :

٥ ـ اودى بنى !

واعقبونى غصة بعد الرقاد وعبرة لا تقلع

فلنعد الى البيت السادس لنتم نظرتنا فيه • اما وقد بلغ الشاعر اقصى درجته وشدته الصوتية على كلمة « فتخرموا » ، (ومعناها أخذهم الموت واحدا بعد واحد) ، فانظر الآن كيف يهبط فى باقى البيت هبوطا مباغتا قوى المباغتة حين يتمه بقوله :

ولكل جنب مصرع

وهى كلمات تخلو تماما من المدات ومن حرفى الياء والواو الساكنين ، كأنه بعد أن علا الى أعلى قمة يستطيعها بصوته انهار فجاة انهيارا تاما من فرط اجهاده • وكأنه قد استنفد ثورته واحتجاجه فعاد الى الهدوء والسكون و « القرار » • فانظر كيف ينسجم هذا الأداء اللفظى مع هذه الحالة العاطفية الجديدة ، وكيف ينسجم أيضا مع « الفكرة » التى تتولد من هذه الحالة العاطفية والتى تعبر عنها الألفاظ اللغوية ، انسجاما عضويا كاملا • فهو بعد ثورته المحتجة وصيحاته المولولة يعود الى اليأس المذعن ، ويدرك أنه لا فائدة من الثورة على صرف الزمان ، وان هذه سنة الدنيا ، فكل جنب مهما علا فى تحد وانتصب فى شموخ وغرور لابد أن يأخذ « الوضع الأفقى » فيصرع فى التراب • لذلك تاتى مقاطعه فى هذه الكلمات الثلاث « ولكل جنب مصرع » مقفلة وتتفق فى ضرباتها المتعاقبة مع حركة الهبوط والصراع والسقوط والتردى ، بعد أن كانت مقاطعه فى الجملة السابقة « وأعنقوا لهواهمو فتخرموا » مختومة بمقاطع مفتوحة مطاقة •

وهو يحتفظ بمعظم هذا القرار فى بيته السابع :
فغبرت بعدهمو بعيش ناصب

واخال انى لاحق مستتبع

استمع الى حروف الحلق الثلاثة ، الغين والعينين ، فى الشطر الأول ، بما لها من مرارة فى الحلق ، ولكن يعود صوته الى شىء من الرعدة فى مدتى الواو فى « بعدهمو » والألف فى « ناصب » ، وفى طعنة الياء الساكنة فى « بعيش » ، الا أنها لا تصل الى الرعدة فى البيت السادس او الرابع • ثم تزيد هذه الرعدة قليلا فى المدات الثلاث فى الشطر الثانى من هذا البيت ، الألف والياء والألف فى قوله «وأخال أنى لاحق» • ولكنها هنا أيضا لا تصل الى الدرجة التى بلغتها فى البيتين المذكورين • وهى سرعان ماتنتهى وتختتم بهذه الكلمة التى تتوالى فيها المقاطع المقفلة : « مستتبع » •

وتأمل الآن فى مضمون هذا البيت السابع لترى انسجامه مع الأداء اللفظى الذى نظرنا فيه • تجد شطره الأول يحمل فكرة شديدة المرارة فى وقعها العاطفى على نفسه ، وهى مدى ما هو فيه من العناء بعد موت أولاده ، وكيف يفتقدهم افتقادا كريها • اما الشطر الثانى فرائع الصدق فى تسجيل فكرة مخيفة تعرض له فجأة فلا يخفيها عنا ، بل يحمله صدقه الفنى العظيم على التعبير عنها • لاحظ أولا أن الفكرة التى يحملها الشطر الثانى هى ماتصدق بورودها على تفكير مثل هذا الشيخ الكبير ، الذى زعزعه موت أولاده حتى أحس باجتثاث جذوره التى كانت تربطه بالحياة ، وتعقد الصلة الوثيقة بينه وبينها على الرغم من كبر سنه • فاحس كأنه الآن شجرة اجتثت من فوق الارض ، سرعان ما تذوى وتجف فيها عصارة الحياة بعد أن تنقطع عن عروقها •

ولكن الرائع فى هذا الشطر اذا أجدت الاستماع الى نبرته هو أنه لا يقول هذا مرحبا بهذه الفكرة الجديدة حين تطرأ على ذهنه • لا يقول : أهلا ومرحبا بالموت القريب فقد ضاع كل أملى فى الحياة وفقدت رغبتى فى البقاء بموت أولادى • بل يعنى العكس تماما : أنه تزعجه هذه الفكرة المباغتة ، فكأنه يقول لنفسه : آه يا واد يظهر الدور جه عليك انت كمان !

وهذا واضح فى قوله « وأخال » ، فانه ما كان يقول « وأخال » لو كان يرحب بفكرة الموت هذه . وما أن بدأ الشطر بالفعل « أخال » ، حتى مكننا من أن نتتبع نبرة الشطر كله فى التخوف من هذه الفكرة الطارئة والانزعاج لها . وانظر أخيرا كيف أن توالى المقاطع المقفلة فى كلمة « مستتبع » ، هذا التوالى الثقيل ـ وخاصة فى المقطع الثانى المكون من تاءين متتابعتين متعثرتين ـ يصور كيف يجره الموت رغم أنفه وهو يقاوم ويتشبث ، كما تجاهد الناقة العصية قائدها الذى يجرها بالحبل .

اننا لنعجب أكبر الاعجاب بصدق هذا الشيخ الفانى الذى يصارحنا برغم شيخوخته وبرغم فقده لأولاده الخمسة بكراهيته لفكرة الموت ودوام حرصه على الحياة وتشبثه بالبقاء فى هذه الدنيا . واننا لنفضل صدقه هذا ـ ان كنا ذوى ذوق أدبى ناضج ـ على ادعاءات المهوشين الكذابين الذين يزعمون أن موت الفقيد قد أضاع رغبتهم فى البقاء بعده ، وهم فى أكثر الأحيان لايربطهم بالفقيد المزعوم ماكان يربط أبا ذؤيب ببنيه .

فاذا جئت الى بيته الثامن :

ولقد حرصت بان ادافع عنهمو !

واذا المنيـــة أقبـــلت لا تـدفع

وجدته فى شطره الأول يعود الى شىء من الغضب والاحتجاج ، لكنه تغلب عليه المرارة والتعجب ، حين يتذكر ما أنفق من جهد فى رعايتهم والحفاظ عليهم فى طفولتهم وصباهم وأول شبابهم ، يطعمهم من جـوع ويؤمنهم من خوف ، يستر أجسامهم ويداوى جراحهم ويعالج أمراضهم ويقيهم شرور الأحداث ، لكى يخيب هذا الجهد كله الآن ويتبدد هباء ـ الآن وقد شبوا ونضجوا واستووا وبدأ يثق فى استمرار بقائهم . فما أعجب هذا التقدير وما أمره . لكنه يرجع فى الشطر الثانى الى تسليمه واذعانه اليائس ، ويحافظ على هذا التسليم فى البيت التاسع ، وان كان يدخل فيه صورة عنيفة يصور بها حتمية الموت واستحالة دفعه :

واذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمــــة لا تنفع

انظر كيف ينسجم تنغيم هذا البيت مع الصورة العنيفة . فهو يشبه الموت بطائر جارح أو وحش كاسر أنشب مخالبه فى فريسته ، من دجاجة أو حمل صغير أو ما أشبه ، ويحاول صـاحبها أن يخلصها من براثنه ولكنه لا يستطيع . ولابد أن هذه كانت تجربة كثيرة الحدوث فى حياة البدو . وهو يبدأ ألفاظه الثلاثة المتوالية « أنشبت أظفارها ألفيت » بحرف الهمزة . ويمهـد لها بالهمزة فى الكلمة الأولى « واذا » . والهمزة حرف شديد ، بل هى قد تكون أشد الأصوات العربية جميعا ، لأن النطق بها يحتاج الى انطباق فتحة المزمار انطباقا تاما ، فلا يسمح بمرور الهواء الى الحلق ، ولا تسمع ذبذبة الوترين الصوتيين . ثم تنفرج فتحة المزمار انفراجا فجائيا يحدث صوتا انفجاريا هو ما نسميه الهمزة . وهذا الانحباس التام للهواء عند المزمار ، ثم هذا الانفراج المفاجىء لفتحته ، عملية تحتاج الى جهد عضلى يعتقد الدكتور ابراهيم أنيس أنه ربما يزيد على ما يحتاج اليه أى صوت آخر ، مما جعله يعد الهمزة أشد الأصوات (أنظر كتابه القيم « الأصوات اللغوية » ص ٧٢) .

فعد الآن الى بيت أبى ذؤيب وأتقن قراءة ألفاظه وأعط الهمزة نصيبها المشروع من التحقيق والقطع ، تجد فى تتاليها هكذا تصويرا جيـدا لمدى غرس الطائر الجارح ، أو الوحش الكاسر لأظفاره الطويلة القوية الحادة فى جسم الفريسة ، ومدى الجهد المضنى الذى يبذله صاحبها دون جدوى لاستخلاصها من أظفاره القاسية التى توغلت توغلا عميقا فى لحمها ، فان استخلصها فانما يستخلصها جثة هامدة .

وفى باقى البيت يضرب عن هذه الصورة ، فيصور ضياع الجهد المبذول بصـورة أخرى ، هى تعليق التمائم على الطفل الصغير دون أن تقيه هذه التمائم من القدر المقدور حين يحل . فاذا أنت فكرت قليلا فى هذا الأسلوب المجازى الجديد استكشفت فيه حقيقة عجيبة ، تتضح لك ما أن تسأل نفسك هذا السؤال : لماذا يتحدث أبو ذؤيب عن حمل التمائم والتمائم لا يحملها الا الأطفال ، وأولاده المتوفون لم يكونوا أطفالا بل كانوا رجالا أشداء ناضجين « لهم بأس ونجدة » ، كما يقول الشراح القدامى ؟ والجواب بالطبع هو الحقيقة النفسية المعـروفة عن الآباء والأمهات ، أنهم يصرون على النظر الى أولادهم مهما يكبروا على أنهم لايزالون أطفالا ضعافا يحتاجون

البقية على صفحة ١٩

العقاد في السودان

للدكتور أحمد مكي الأنصاري

هل كان **العقاد** جبانا حينما هرب من مصر الى السودان ؟ .

وهل كان وطنيا أو كان صنيعة للانجليز ؟ .

وفي مجال النقد والخلق الفني :
هل كان العقاد ارأيتيا ؟ وهل كان له منهج محدد في النقد ؟ ومامدى صلته بمناهج النقد الاخرى ؟

أكان العقاد يجيد الفن القصصي أم هو دخيل عليه واغل فيه ؟



وهل كانت فيه نزعة شريرة تدفعه دائما الى التحطيم ؟ وكيف توفق بين موقفه في التجديد المطلق وبين موقفه من الشعر الحر ؟
الى آخر ماهنالك من القضايا المثيرة التى عاشها السودان وزخرت بها الحياة الادبية عقيب وفاة العقاد ، واليك القصة من أولها :

ماكاد الناعى يذيع النبأ المشئوم بوفاة العقاد حتى اهتز السودان من أقصاه الى أقصاه وهرع اتحاد الهيئات الأدبية يقيم المهرجانات المتوالية في البلاد ولا سيما العاصمة المثلثة (أم درمان - والخرطوم - وخرطوم بحرى) .

وبادرت الاذاعة السودانية بتمجيد العقاد في « برنامج » طويل ، وكذلك فعلت الصحف والمجلات الادبية حين فاضت أنهارها بالدموع وبالرثاء وبالتقدير والوفاء .

أما التليفزيون السوداني فقد توج كل هذه الجهود باقامة الندوات القيمة في ركن الادب الذى يشرف عليه الشاب النابه سيف الدسوقي تكريما لفقيد النيل وتخليدا للخالد العظيم ..

وما كان عجيبا أن يفعل السودان ذلك فانه يحمل للعقاد وللرعيل الاول من أدباء مصر الكبار كل اعزاز واكبار وتقدير . وقد أعلنها صريحة داوية **الأستاذ حمداى** » سكرتير اتحاد الهيئات الادبية بالسودان حين قال في المهرجان العام : « اننا ندين بالفضل لادباء مصر الكبار ، وليس غريبا أن تنبت ارض الصعيد مثل العقاد » .

وظل جنوب الوادى وشماله يتجاوبان بالحزن العميق لوفاة الراحل العملاق فما ان تخرج الكلمة من شمال الوادى بالرثاء حتى تسمع صداها يتردد في أنحاء الجنوب .. فكم سمعنا في الندوات العامة والخاصة بالسودان من كلمات التقدير التى زفر بها أدباء الشمال رثاء للعقاد واعترافا بمواهبه الخالدة .
من ذلك قول **الأستاذ الزيات** : « ان الحزن على الشيخ العظيم حزن على ثورة ضخمة من الأدب والخلق

والمواهب والتجارب... لقد ترك عقولا كان يغاديها بالمعرفة ويراوحها بالحكمة .... ونهضة كان ينفخ فيها من روحه ويفيض عليها من عقله .. وسمعة خالدة على وجه الدهر بالفهم الثاقب والاطلاع الواسع والعلم المحيط والعمل المثمر والاباء الاشم والحفاظ المر ، والخلق الصريح » .

وقول **الدكتور طه حسين** : «ان التاريخ وحده هو الذى سيعرف قيمة العقاد ويتكفل بالتقدير » .

وقول **الدكتورة سهير القلماى** : « ان العقاد ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولست الا ذرة فى الدنيا وواحدة من الناس » .

قول **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد** : « غدا يزور الناس اسوان والسد العالى ويطوفوا بسد أعلى وأغلى ... سد سامق ، لبناته فكر ، وفلسفة وعلم وأدب وشعر ... وما بالقليل أن يكون الفرد جمعا متنوعا، وقبيلا مبدعا كما كان العقاد » .

ومقالة الصحفى **أنيس منصور** حين يقول : « ان العقاد هرم كبير شامخ وما أنا الا اصبع صغيرة تشير الى هذا الهرم الكبير » .

الى غير ذلك من كلمات التقدير التى تموج بها الصحف .. وتهتز بها موجات الأثير بين الشمال والجنوب .

وخليق بالسودان أن يهتم بالعقاد هذا الاهتمام الخاص ، فقد عرفه عن قرب وحاوره عن كثب منذ عشرين عاما أو تزيد فى سنة ١٩٤٢ بالتحديد ، حينما زار العقاد السودان ابان الحرب العالمية الثانية ، ولبث فيه أربعين يوما كان خلالها قطب الدائرة .. وقبلة أنظار الادباء جميعا من شيب وشبان يغدون اليه لينهلوا من ثقافته الزاخرة ويبادلوه التحايا بالنثر والاشعار .

من ذلك ماكان بينه وبين **الاستاذ المبارك ابراهيم** حينما طلب من العقاد أن يهدى اليه صورته لينشرها فى صحيفة (النيل) وكان اذ ذاك سكرتير التحرير فاستجاب العقاد لهذا الرجاء وكتب على الصورة هذه الابيات :

تفسير حلمى بالجزيرة
وقفتى « بالمقرن »
حلمان حظهما - خيالا -
دون حظ الأعين
ما دمت بينهما فما
أنا سائل عن مسكنى
يا جيرة النيل المبارك
كل نيل موطنى

وفى نفس الصحيفة التى نشرت فيها أبيات العقاد عقب الاستاذ المبارك بقوله :

يا من نزلت أعالى الوا
دى حميد المأمن
أهلا فمنزلك القلوب
ب وفى سواد الأعين
فالنيل فى ارض الكنا
نة مثله « بالمقرن »

كما أن الفنانين فى ذلك العهد تسابقوا الى تلحين قصائد العقاد تحية له وتقديرا . من ذلك ماقام به الفنان « **اسماعيل عبد المعين** » من غناء وتلحين لمقطوعة خفيفة للعقاد حيث يقول :

يا نديم الصبوات
اقبل الليل فهات
واقتل الهم بكاس
سميت كاس الحياة
هاتها باسم حبيبى
قاتل الله عداتى
هاتها عشرا وكرر
وصفه العذب مئات

هذا الى كثير من الطرائف الادبية ، والمساجلات الحية التى كانت بين العقاد وبين بعض أدباء السودان نتيجة لاختلاف الهوى السياسى آنذاك ، فقد كان بعضهم مع المحور النازى على حين كان العقاد ضالعا فى هواه مع الحلفاء، فهاجم الالمان وأخرج كتابه المشهور (هتلر فى الميزان) .

من هنا نشأ احتكاك الافكار واحتدام اللسان بين العقاد وبين هؤلاء الادباء مما تجده مفصلا فى الكتاب الممتع (ملامح من المجتمع السودانى) .

والآن آن لنا أن نعود الى القضايا الكثيرة التى أثارها أدباءالسودان فى الابحاثالعامة والخاصة... وتصدى لها فريق قوى بالتحليل والتفنيد احقاقا للحق وانصافا للحقيقة والتاريخ قبل أن يكون انصافا للعقاد .

قالوا : بماذا تفسر هرب العقاد من مصر الى السودان حينما كانت جيوش الالمان تقف على باب العلمين بمصر ؟ أكان جبنا منه وخوفا على حياته أم ماذا ؟ وأجاب المجيب الرشيد : بأن أخلاق العقاد أبعد ماتكون عن الجبن والجبناء . والتاريخ حافل بمواقفه الخالدة ضد الملوك الطغاة والمستبدين بوجه عام، وكان أيسر هذه المواقف يفضي به الى الموت... ان لم يكن قضاء فليكن اغتيالا كما حدث لكثير ..

على أن العقاد أقدم على الموت بنفسه ذات يوم حينما ضاقت به سبل العيش ولم يجد للنفس الابية موردا ترتاده بعزة وكرامة أشهى من حياض الموت بالسم الزعاف كما فعل فيلسوف اليونان القديم ... ولكن الله سلم فحفظ لنا العقاد الى امد رحيب ، وخالف بين الموتتين لفيلسوف اليونان وفيلسوف الاسلام .

فكيف يقال بعد هذا ان العقاد كان جبانا يهاب الموت أو يرهب الردى ؟ تلك فرية أبعد ما تكون عن خلائق العقاد ، وأقرانه يعرفون والتاريخ خير حافظ وشهيد .

أما سفره الى السودان فيفسره ايمانه بنفسه ـ ذلك أن ايمان العقاد بنفسه جعله يهاجر من الشمال الى الجنوب كما أن ايمانه بنفسه هو الذى جعله يعود من حيث أتى، وتحليل ذلك أن ايمانه بالرسالة التى يحملها ـ رسالة الفكر والقلم ـ جعله يهاجر فى سبيل بقائها والحفاظ عليها ، اقتداء بأصحاب الرسالات من قبل وعلى رأسهم النبى العظيم ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

وبهذا دافع العقاد عن نفسه كما ذكر الاستاذ **حسن نجيله** فى الفصل الذى كتبه عن هجرة العقاد الى السودان .

كما أن ايمانه بنفسه الذى جعله يعود من حيث أتى .. هو الذى حمله على السفر المفاجىء من السودان الى مصر حينما أحس أن الناس يفسرون مجيئه الى السودان بالهروب من الالمان .

لم يرض لنفسه العزيزة الشماء أن توصف بالجبن أو تكون لها أدنى صلة بمواقف الجبناء ، لهذا رحل فجأة من السودان والخطر محدق بمصر ، ولا يزال « روميل » ثعلب الصحراء جاثما على أبواب البلاد .

عاد العقاد الى مصر يحمل روحه على كفه ايمانا بنفسه وايمانا بالله ثم انجلت الغاشية بانهزام الالمان ، واندحار الدكتاتورية الغشوم .

والقضية الاولى تسلمنا الى القضية الثانية حينما يتساءل القائل : هل كان العقاد وطنيا حينما وقف الى جانب الحلفاء ضد الالمان ؟

والجواب انوطنية العقاد فوقمستوى الشبهات.. غير أننا نفتح باب المناقشة للبحث والدرس والتاريخ :

عرف العقاد بالوطنية الصادقة منذ ريعان الشباب، وما كادت الثورة تندلع بمصر سنة ١٩١٩ حتى وقف العقاد الى جانب الامة يدافع عن الوطن بمقالاته النارية ويصب على المستعمر وأعوانه شواظا من نار، ولهذا لقبه زعيم الامة « **سعد زغلول** » بالكاتب الجبار .

كما أن العداء المستحكم بينه وبين القصر الملكى على اختلاف العهود والملوك دليل قاطع على وطنية العقاد اذ كان يرى القصر صنيعة الاستعمار واليد المنفذة لاغراضه من وراء ستار ـ وحق مارأى ـ لهذا هاجم الملوك هجوما عنيفا لا هوادة فيه . وأبرز مثل لذلك هجومه على الملك فؤاد حينما أحس بأنه سيحطم الدستور .. وقف العقاد فى البرلمان وصاح باسم الشعب : ان الامة على استعداد تام لان تحطم أكبر رأس فى الدولة اذا ما حطم الدستور، ثم كانت المحاكمة بتهمة العيب فى الذات الملكية .

ولولا وطنية القضاء ، وذكاء الدفاع فى تحويل القضية من دائرة الى دائرة لحكم على العقاد بأقصى العقوبات بدلا من تسعة أشهر قضاها فى السجن مرفوع الرأس بما له من مواقف خالدات ، أشهرها موقفه مع « **على ماهر** » وزير العدل حينذاك .

ولولا خشية الاطالة لذكرنا كل هذه الاحداث بالتفصيل .

وشبيه بموقف العقاد مع الملك فؤاد موقفه مع ابنه الملك فاروق حينما ذهب الى الصحراء الغربية وكان العقاد نائبا عنها في البرلمان فرأى من واجبه أن يتكلم باسم الدائرة مرحبا بالمليك الزائر ـ وكان ما يزال مستور الفضائح ، بل كان يلقب بالملك الصالح .. فتحدث بما يمليه المقام من الترحيب غير أن الملك كان على ذكر تام بموقف العقاد من أبيه فقال بصوت مسموع : كان أبى أولى بهذا ؟ فما كان من العقاد العظيم الا أن قطع الخطبة وجلس احتجاجا على خروج الملك على آداب الزيارة وآداب الحديث .. فكانت صفعة قوية وجهها الى وجه الملك بمحضر منه ومن عملائه ووزرائه والحاشية .. ليعلم الجميع أن لا فرق عند العقاد بين الابن وأبيه، فالخالف قطعة من السالف ، وهل تلد الحية الا الحية ؟

ذلك بعض ماكان من العقاد مع الاستعمار وأعوانه من البيت المالك .. ولكن كيف تفسر وقفته الى جانب الحلفاء مع أن الانجليز كانوا يستعمرون مصر اذ ذاك؟ فهل كان صنيعة لهم كما يتوهم بعض الغافلين ؟

لم يكن العقاد فى يوم من الايام صنيعة للانجليز وما كان يرضى لنفسه الجبارة أن تكون صنيعة لاحد كائنا من كان ، وربما كان اتفاق الهوى فى كراهية النازية هو الذى جمع بين الرأيين ـ جمع اتفاق لاجمع وفاق .

وآية ذلك أنه يكره الديكتاتورية أينما كانت وحيثما تكون .. سواء تمثلت فى النازية أم تمثلت فى الشيوعية التى حاربها العقاد ، والتى يستدل بها المغرضون أيضا على تعاونه مع الاستعمار، ونسوا أن العقاد حارب الاستعمار وألف فى ذلك كتابه القيم « **لا شيوعية ولا استعمار** » .

فهو يحارب التسلط بجميع أنواعه وألوانه وأظهر مايكون التسلط فى النازية والشيوعية أما الاستعمار الغربى وبخاصة الاستعمار الانجليزى فانه داء خفى وهو أخطر أنواع الاستعمار اذ أنه يسرى فى جسد الامة كما يسرى السل فى صدر السليم ، وصدق من شبهه بمصاص الدماء ، ذلك الطائر الخبيث الملعون الذى يقف بخفة ورشاقة على صدر النائم فى الغابات الحارة فيروح له بجناحيه وهو يمتص منه رحيق الحياة ولا يتركه الا جثة هامدة لا حياة بها ولا حراك .

غير أن التسلط الظاهر القاهر يثير فى نفس العقاد حمية الدفاع أكثر مما يثيره التسلط الخفى الخطير .. لهذا كان العداء الصريح للنازية والشيوعية على حد سواء ومرد ذلك الى ايمانه القوى بقيمة الانسان من حيث هو انسان .

فالنازية والشيوعية تتخذ كل منهما موقف التطرف فى التعصب وان اختلفت أسباب هذا التطرف عند الفريقين : الالمان متطرفون فى التعصب العنصرى والشيوعيون متطرفون فى التعصب المذهبى ـ وكلاهما خطر داهم على قيمة الانسان : فالالمان يعتقدون أن العنصر الالمانى هو العنصر المختار وماعداه من الناس هباء ، والشيوعية تهدر قيمة الفرد فى سبيل الفكرة المذهبية وكلاهما يهدر قيمة الانسان المطلق ، ومن هنا انبرى العقاد يدافع عن قيمة الانسان ويدفع عنها طغيان التسلط فى أى لون من ألوانه سواء أكان متطرفا الى أقصى اليمين أم متطرفا الى أقصى اليسار .

أما الداء الخفى وهو الاستعمار الانجليزى فقد رآه العقاد فى ذلك الحين أهون الامرين فوقف الى جانبه وسار على مبدأ : « بعض الشر أهون من بعض » .

وهناك من يخالف العقاد فى وجهة نظره ويسير على مبدأ : « ليس فى الشر خيار » غير أن هذا ينبغى الا يحول بيننا وبين احترام رأى العقاد ، والدفاع عن وجهة نظره ما دام يخرج عن دائرة الخير للوطن وما أظنه الا كذلك فهو يريد الخير لوطنه من وجهة نظره وما كان العقاد بدعا فى ذلك فله فى تاريخنا الحديث نظير ونظير .

فمن منا لا يحترم معلم الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد ؟ ومن منا يرتاب فى وطنية الزعيم الثائر ، ابن مصر البار مصطفى كامل ؟

ان أحدا لايساوره الشك فى وطنية هذا أو ذاك ، كلاهما كان مثلا عاليا فى الوطنية الحقة ومن ثم قدرتهما الثورة الملهمة بقيادة **الرئيس جمال عبد الناصر** على أنهما مختلفان أشد الاختلاف .. فالزعيم مصطفى كامل كان يرى الوطنية المصرية فى ارتباطها بالخلافة الاسلامية فى تركيا ، أما الاستاذ لطفى السيد فكان يرى الوطنية الحقة فى انفصال مصر عن الخلافة العثمانية ، وكان ينادى بأن تكون مصر للمصريين ـ وبالرغم من هذا الاختلاف الواضح فى الوسيلة فان الهدف واحد وهو رفعة الوطن العزيز .. وقديما قالوا: اختلاف الوسائل لايستلزم اختلاف الدلائل.

وكذلك الشأن في موقف العقاد: كان يرى الوطنية في محاربة الديكتاتورية الغاشمة ومساندة الحلفاء الى حين ، لعلهم يحسنون رد الجميل بالرحيل .. فان تباطئوا وتلكئوا في تنفيذ الوعود .. كان اخراجهم أيسر علينا من اخراج الالمان ، وقد كان ٠ تلك نظرة العقاد فيما أحسب ، ولو سلمنا بانه أخطأ التقدير فان هذا الخطأ لا يبيح لاحد أن يصفه بالخيانة .. أو بالتراخي في حقوق الوطن ٠

هذا الى أن بعض الدارسين يتهمون العقاد بانه أرايتي : يقول أرايت لو كان كذا .. ارايت لو كان كذا ٠ ويقصدون أنه يضع النتيجة أولا ثم يجمع لها الدليل ، ومنهج البحث العلمي يقتضيه أن يتدرج بالمقدمات الى النتائج أيا كانت هذه النتائج ، موافقة لهواه أو مخالفة لما يريد ٠

والحق أن العقاد منطقي منهجي في البحث الى حد كبير حتى أن بعض القادرين لفضله قالوا : **ان كل كتاب من كتب العقاد يستحق أن يمنح عليه لقب الدكتوراه ٠**

وما يتراءى لبعض الباحثين من أنه يضع النتيجة أولا ثم يأتي بالدليل انما هو وضع كتابي لا أكثر ولا أقل للمراوحة في العرض بين منهج ومنهج وقبل أن يضع هذه النتيجة لابد أن يكون قد درس الموضوع من جميع الجوانب وقتله بحثا وتنقيبا ، وأحاط به احاطة مذهلة تعز على كثير من عمالقة الفكر والادب ٠

ذلك هو دأب العقاد في كل مايتناول من القضايا الادبية أو العلمية على حد سواء ، ويخطيء من يظن أن العقاد يقذف بالنتيجة أولا ثم يجمع لها الدليل من هنا وهناك ٠

على أن هذه الظاهرة الكتابية قليلا ماتصادفك في مؤلفات العقاد ــ وماأكثرها ــ وليس من المنهجية في شيء أن نحكم بالقليل على الكثير ٠

(بقية المنشور على صفحة ١٤)

الى رعايتهم وحراستهم ، والى ارشادهم وتحذيرهم ، وان هــذا الاصرار تتولد عنه مشــكلات كثيرة ومشاجرات بين الولد ووالده ، وخاصة أمه التي تصر على اعتباره طفلا صغيرا لا يؤمن على نفسه ، وتأبى أن تسمح له بالاستقلال الذي يطلبه ويرى الآن أنه قادر عليه ٠

ثم ان هذا الشيخ المسن يرتد بذاكرته الى الماضي البعيد ، كما يحدث لجميع الشيوخ الذين يتذكرون الماضي البعيد باوضح وأدق مما يتذكرون حوادث الأمس القريب ٠ ويعينه على هذا الارتداد الزمني ما أصاب عقله من الدهش اذ فاجاه المصاب ، فاذا فكر الآن في أولاده المفقودين فان الصــورة التي تتبادر الى ذهنه ليست صورتهم وهم رجال أشداء ناضجون ، بل صورتهم القديمة حين كانوا لايزالون أطفالا صغارا عاجزين يحتاجون الى حفظه وحراسته ٠

هذا اذن هو السبب الحيوي الذي يلجئه الى صورة التمائم ، لا مجرد انه يتلمس مجازا عاما غير محدد ينطبق على عموم الأحوال ٠ بل انك اذا رجعت الآن الى صورته الأولى في نفس البيت ، وجدتها هي الأخرى تقوم على تصورهم في صغرهم وضعفهم ، فالطائر الجارح أو الوحش الكاسر الذي يطارده أهل الحي ليستخلصوا منه الفريسة لا يفر بحيوان كبير ، بل يتخير حيوانا صغيرا يأمل في الفرار به ٠

وبهذه الأبيــات التســعة نكتفي من مرثية أبي ذؤيب مضطرين ، فقد احتاجت منــا هذه الابيات التسعة الى أربع مقالات طويلات ، ونرجو أن نعود الى الأقسام الأخرى من قصــيدته ــ وهي أقسام مختلفة تماما ــ في فرصة قادمة نزيد فيها تراثنا الشعري القديم تأملا وتقديرا ٠ ولعل فيما مضى مايقنع الجيل الناشيء من القراء اقناعا مبدئيا بما في هذا التراث من ابداع وامتاع ، ولعل فيه مايزيد قراءنا الفة بطريقتنا في قــراءة الشــعر القــديم واستطلاع أسباب حيويته الباقية ٠

دكتور محمد النويهي

من الثالث؟

للدكتور احمد كمال زكى

- ١ -

ان يتخذ الشاعر المعاصر موقفا من مشكلات مجتمعه شىء رائع حقا ، ولكن اروع منه الا ينتهى امره الى الرفض . وقد يكون من حقه بل من واجبه ان يتشكك بحيث يجعل قصائده حملة شعواء على مايراه ضعيفا أو معوقا او باعثا على التهالك ، الا أن الامر ينبغى أن يقف عند حد التنبيه الرشيد . واذ يعيد المرء قراءة شعر الامس ـ الذى ترتفع فيه نبرة الاحتجاج ـ يجد فيه ذلك الصوت الحازم الذى يشك من أجل ان يصل الى يقين .

ولقد يبدو لاول وهلة ان واحدا **كأبى العلاء** كان من الرافضين ، ولكن القراءة المتعمقة لشعره تؤدى الى انه كان فى حقيقته محافظا كبيرا نصب نفسه معلما لمجتمع رآه ينحرف . وكان فى كل شعره اشبه برجل حذق أساليب الاخلاقيين ، فصدر عن مفاهيم اصلاحية وجدت لها صدى عند الكثيرين .

لقد كان فى شبابه شديد الحذلقة فى صياغة اشعاره ، ولنقل انه كان يفتن فى اظهار براعته . ثم مالبث أن شغل برؤى يصر فيها الخطر الذى يتعرض له انسان عصره ، ومن هنا لم يجد محيدا عن أن يكشف فى رفق عن منابع الخطر ليحذر من يريد البناء والسلامة .

ونحن اذا استقصينا ما أثار من قضايا نراها تختلف فى كثير عن قضايا عصرنا ـ وان تغير الطابع واختلف اللون ـ حتى لكأن هناك شيئا من صلة رحم بين انسان اليوم وانسان الماضى ، فكان طبيعيا أن يوجد الشاعر الذى يشبه حكيم المعرة والذى يستطيع ان يرتفع الى مستوى الازمة فى اطارها المعاصر وفى ابعادها الحضارية المعروفة .

الا أن هذا الشاعر حاد فى اغلب الاحيان عن الطريق التى كان ينبغى أن يضرب فيها ، وبدت رؤاه لاتختلف فى شىء عن رؤى المشعوذين أو عن رؤى الذين يكتبون عن الفضائح ليعطوا ما يكسر حد قلمهم ، ويمزق وريقاتهم الذليلة .

حقا كان فى المقابل الشاعر الجاد الرصين ، الا ان طبيعة الظروف الراهنة ونوع الصراع الذى نخوضه واشتجار القضايا ـ فكرية وعقيدية وسياسية ـ فى شتى اطر يخطط لها الرجعيون والتقدميون على حد سواء .. كل اولئك حجب عن الآذان الصوت الجاد الرصين ، وهيأ لشعر واحد **كادونيس** او آخر **كسعيد عقل** فرصة التسلل الى الاعماق .

وأوضح مايسع الانسان ذكره عن هذين ـ وقد عرضت لهما فى مقالين سابقين ـ هو أن عناصر فنهما القوية بوق لدعايات مدمرة !

وبوسعى ان استمر فاقول ان فى شعر من لف لفهما على صعيد الرفض المعاصر نفسها ، وان يوسف الخال مثلا ـ وسأعقد له مقالا خاصا ـ ليقدم النموذج الذى يؤكد ان شعرنا المرسل يجب ان يقضى عليه قبل أن يستفحل شره . انه فى الاصل شاعر عادى ، ولكنه يتمتع بعقلية عجيبة التركيب ، وكتب « البئر المهجورة » وغيرها وتغنى بتموز وفينيق ليؤكد ان الانسان العربى كتب على نفسه العدم .

- ٢ -

فليرحم الله اذن ابا العلاء

ولكن ، الا ندعو ايضا للرافضين على اساس اننا نمر بفترة تغيير قرر لها ميثاقنا العظيم أن تحفل بالاخطار ؟

لست ادرى بماذا أجيب ، الا أن الدكتور **محمد النويهى** يتطوع بالدعاء ، ويؤكد ان الرجعية التى

لاتزال تملك من المؤثرات المادية والفكرية ماقد يغريها بالتصدى لثورتنا هي التي تثير هؤلاء الشعراء ، وكأنهم وجدوا فى مبدأ حرية النقد وحرية الكلمة سبيلا طبيعة الى محاولة التقويم والتقييم .

لكن ممارسة النقد على النحو الذى يفهمه الرافضون لا يمكن أن تهيىء الفرصة امام العمل الوطنى ليتحقق ، ولا يمكن من ناحية أخرى أن تكون ثمة وسيلة الى اقامة معوج او تسديد خطوة او تصحيح وضع .

وانا مع الدكتور النويهى فى أن الشاعر الكبير أو الشاعر الصادق الشاعرية كما يسميه لا يوافق دائما مجتمعه ، بل ازعم ان عملية الابداع نفسها — ما كانت حقيقية — لا يمكن أن تقبل الا على انها صورة من صور احتجاج الشاعر ، ولكن فى الكثير من انتاجه لانلمح غالبا الا التمرد المشوب بالاخلاص .. فقد يشتم **أبو العلاء** ، وقد يعلن **حافظ ابراهيم**، وقد يتمرد **محمود حسن اسماعيل** ، غير انهم من غير شك متمسكون بقدر كبير من القيم التى تجمع عليها الامة .

فهم رافضون .. ولكن فى حدود ، ولا ريب فى انهم يتحولون من طراز الى طراز آخر ، وقد يدهشوننا بما يروع ، ولعلهم يعارضون أعمق مسلمات عصرهم ، أو لعلهم يصدرون عن كل مايثير الحفيظة . الا أننا لانحس أنهم يعاندون ، ونحس ايضا انهم مرتبطون بنا ، وأنهم يريدون أن يبلغوا بنا بر الامان !

مثل هؤلاء احب من الدكتور النويهى أن يحبيهم ، واما غيرهم فلا سبيل الى التماس العذر لهم ، وينبغى الا نسهل لهم طريق الخلاص .

ولقد أبدو متعنتا فى هذا وأنانيا ، ولكنى فى الحقيقة لا اقبل الشاعر الرافض الذى يبيع فنه لمن يدفع الاكثر ، وهل يريد الدكتور نموذجا غير ادونيس الذى يحبه والذى احبه انا ايضا ؟ ما رايه فيمن كان داعية لعبد الكريم قاسم فى العراق وقرر ان يجعل من جماجم خصومه منافض للسجائر ؟

ماذا يقول فى عبد الوهاب البياتى ؟

لست احب ان اشنع عليه ، فهو من كبار شعراء العراق الشقيق ، ومدى علمى أنه كان يتمتع ذات يوم بمنزلة رفيعة . ولعله فى تهشيمه الجملة الشعرية — بذكاء مرهوب — قد قدم بعدا خاصا للقصيدة الجديدة ، وان يكن ثمة كثيرون يرون فى هذا الصنيع أحد أسباب غموض الشعر المرسل .

وفى الظاهر .. فى الظاهر فقط — على الاقل عندى — يبدو البياتى شاعرا هين الحركة وقد يتعثر تحت قدمى ناظم حكمت وباوند وبابلو نيرودا ، وماوتسى تونج والمسيح حتى لقد قيل انه موزع الشخصية بين الرومانسية والرمزية والواقعية والوجودية . ونحن لاننكر أن بعض هذه الصفات محل جدال ، ولكنه فى رأيى يملك ضربا خاصا من السيطرة على المعالم الكبيرة فى طريق الادب العام . والقارىء ينهمك عادة فيما يقوله حتى ليتفاء وراءه — على بساطة فكرته — برغم جهامته وعبوسه .

من اجل ذلك ، وعلى الرغم من أن كثيرين — **منهم مواطنه الشاعر كاظم جواد** — نبهوا الى تزييفه وغروره وتلفيقه ، فانى لا احب ان اشنع عليه : غير أننى أسأل الدكتور النويهى : ترى نزعم انه يرفضنا نحن العرب لاننا نستحق الرفض ؟

العيوبنا أم لعناده أم لمنفعته قد هجرنا ؟

الذى يجيب بحق هو تاريخه فى السنوات الاخيرة، ويكشف عن أن الغرض الذى يهجس فى نفسه لم يكن ليجعله يستقر على حال . فهو يهاجم مع القوى ، ويضرب الضعيف ضرباته الطائشة . ويوم احس بقرب نهاية الطغيان فى العراق لجأ الى مصر وتغنى بها وكتب قصائد التزلف لقائد ثورتها ، وكانت مصر اذ ذاك هى القوية واخذ منها ماشاء ثم تولى عنها .

ومن هناك كما لايخفى على أحد وفى أيام قاسم العراق بالذات وصلت قصائده المحمومة وقد نسخت كل ما قاله فى الزعيم الذى حرر العرب من اسر الرجعية والاستعمار ، فاذا عنينا بما يتصل بمناسبتنا هذه نجد أن الخليق بالذكر هو هذه القصائد الحمقاء التى ظن بها أننا الضعاف وان الجانب الآخر هو وحده القوى !

هو اذن عربى وهو قاسمى وهو وحدوى وهو ماركسى ، وهو كل شيء أو لا شيء . المهم انه يجب أن يكون حيث يتنسم ريح العافية ، لان ذلك هو الجانب المضمون ، وكأنه لا طاقة له على الصراع . وبعد يريد الدكتور النويهى أن يبرئه او يبرىء امثاله بحجة أننا لا نبرأ من العيوب !

ما هذا ؟

ثم هل نمى اليه كيف مهد لمجيئه الى القاهرة فى نهاية المطاف ؟

لقد اتصل من موسكو بيوسف ادريس أو احمد

عباس صالح يقول **« رسالتك الى حملتنى مزيدا من الثقة والاصرار والايمان بحتمية انتصار المثل الانسانية فى ثقافتنا العربية ، وفى الدور الطليعى العربى الكبير الذى تحمل اعباءه القاهرة بجهود قادتها وكتابها ومفكريها وشعرائها ، والنور كان دائما وابدا ياتى من القاهرة الوطن الروحى والفكرى للثوار العرب ... »**

مرحى مرحى ، لقد جاء عليه حين من الدهر كان يقول غير ذلك ، وقد تصور أن الجمهورية العربية المتحدة بحركاتها التحررية والاشتراكية بتضاءل وزنها الدولى على الايام ، ولا داعى لتقديم اشعاره فى هذا وفى غيره لانها معروفة ومتداولة .

واخيرا اعلنت الصحف نبأ تشريفه ، وراح اصدقاء موسكو يفرشون له الارض زهورا ! وفى مجلة الكاتب نشر قصيدته « موت المتنبى » أحسن أعماله بغير شك ، واكثرها دلالة على عقليته ، كما نشر مقطعتين اخريين واحدة باسم « الصيف الاخير » وواحدة باسم « الجرح » .

ولست أريد أن استعدى على الشاعر ، فهو ضيفنا على اى حال . وهو قد يطوى بمجيئه صفحات التردد والذبذبة والنزق التى ميعت شخصيته ، ولم تنم عن فلسفة ناضجة . ولكن من يمنع اى قارىء من أن يقيس الشاعر فيما قال بالمتنبى الذى اغترب وعاش مضطرا فى منفاه الاختيارى ـ وطن العبيد » لا يفهمه احد ويتجرع كاس الهزيمة الشاعر الغارق فى الأحزان والأغلال

يعود من غربته ممزقا جريح
ماذا تقول الريح
للشاعر الطريد
فى وطن العبيد
والساسة اللصوص والتجار والانذال
يمرغون القمر الاخضر فى الاوحال
ويسفحون المال
تحت نعال جاريه
ترقص وهى عارية !

ولقد مات المتنبى ـ الشاعر الطموح الذى أراق ماء وجهه ليعيش ـ وسوف يموت البياتى فكلنا الى تراب ، ويومئذ حتى بعد أن تصبح عيناه بؤرتى طينة سوداء يمكن ان يعود فى شعره

حصانه يصهل فى المساء
على تخوم المدن الغبراء
يرود نبع ماء
حصانه عبر المراعى الخضر والتلال
يوقظ فى حافره النجوم والاطفال
يوقظ فى ذاكرة السنين
اللهب الاسود والحب الذى يموت فى ظل السيوف !

وهكذا بات ممكنا أن يواصل البياتى الحياة بمنطق الرفض وباسم التقدمية . تختلف نظرته اختلافا لا قاعدة ثابتة له ، ويطلق صرخاته الشاكة بله المدمرة ضاربا بآمالنا عرض الحائط ، ولا يعنيه الا أن يبحث عن واحة آمنة فى صحراء حياته لانه عندما يعود الى **« المدينة »** يجد كل شىء كما كان

كلما عدت رأيت الجرح فى نفس الرسوم
صيحة الديك ونيران القبيله
ضوات وانطفات فهى رماد فى الاصيل
ومناديل رحيل
عبر باب المستحيل
كلما عدت رايت الجرح فى عين الدليل
انه الجرح القديم
ابدا تحمله فى ليل اوروبا البهيم
انه الجرح الذى سمم حلم السندباد
انه نفس الرماد

- ٣ -

وبعد ...

فقد يجد بعضنا فى اشعاره هذه غير ما أجده ، وانا نفى افضل هذا . والبياتى كغيره من الرافضين تعزى ثورته الى احتدام الرغبات التى يحار المرء فى وزنها ، ولذلك فسوف يصعب ان نضع ايدينا على منطويات الموقف المباشرة . وسواء أكان قد جعل فنه سلاحا فتاكا ـ والفن عند الماركسيين سلاح ـ أم سيقتصر به على نقض المعوق من ميراثنا العقيدى والاخلاقى فاننا نتساءل : اى الجوانب فيه سينتصر ؟

ولعلنا نضيف الى ذلك : هل يبشر تحوله هذا الجديد بشاعر كحكيم المعرة ينقد برفق ، ويوجه باخلاص لتبقى اقواله المركزة حية فى القلوب ؟

اخشى أن اكثر النقاد لايستطيعون أن يجيبوا ، ولعلهم يكتفون بأن يقولوا : قد يكون التحول مضمونا لو كان معتقده الايديولوجي ثانوى الخطورة . وفى هذا الحال نقبل ما يقوله الدكتور محمد النويهى عن حرية الشعراء فى التشكك وعن أن رفضهم منبعث من حالة مؤقتة ينبغى الا تدفعنا الى تصديقهم فى كل ما يقولون ، ولنكن مع الجميع اكثر تسامحا وارحب صدرا

الرمزية والتمثيل في قصص القرآن

بقلم: محمود الشرقاوى

أريد أن أبدأ مقالى هذا بكلمة اعجاب وانهيه بكلمة تعجب :

كلمة الاعجاب أذكر بها مقال الدكتور محمد النويهى : « الالهام الشعرى بين الاسلام والمسيحية » الذى نشر فى العدد ٥٤ من الرسالة .

فى هذا المقال الجيد المفيد تناول الدكتور النويهى تفسير ظاهرة هامة من الظواهر التى تبدو فى الشعر العربى المعاصر تحدث عنها قبله الاستاذ الشاعر عبده بدوى فى مقالين : « العدد ٤٨ و ٥٢ من الرسالة » :

ظاهرة هامة فى الشعر العربى المعاصر ، هى بروز الأفكار والرموز المسيحية فى كثير من هذا الشعر . فتجسد الاله فى بشر ، والصلب والفداء ، والخلاص والتطهير والانتظار ، وغيرها من أفكار المسيحية ورموزها الأساسية ، تظهر وتشيع ، لا فى انتاج الشعراء المسيحيين وحدهم ، بل فى انتاج عدد غير قليل من الشعراء المسلمين ، ضرب عليهم الأستاذ بدوى أمثلة كافية .

هذه هي القضية التى أثارها الشاعر عبده بدوى ، كما صورها ، وأحسن تصويرها ، الدكتور النويهى .

وقد كتب الدكتور لويس عوض فى ملحق الأهرام الأدبى : «الجمعة ٧ اغسطس» مقالا جيدا عن دواوين صديقنا الشاعر صلاح عبد الصبور ابرز فيه هذه الظاهرة ـ مع ظاهرة أخرى هى تأثره القوى أيضا بالفلسفة اليونانية وافلاطون خاصة واستخدامه لها .

وقد أبرز الدكتور لويس ظاهرة الرموز المسيحية فى شعر صلاح ابرازا يدل على تزايد خطرها وضرورة البحث عن سببها وعلاج لها أو بديل منها .

أما « البحث عن سببها » فهو موضوع المقال القيم الذى كتبه الدكتور النويهى والذى أحاول أنا الآن تكملته « بالبحث عن العلاج والبديل » .

السبب لهذه الظاهرة من التأثر بالافكار المسيحية فى الشعر العربى فى رأى الدكتور النويهى هو أن الفكر المسيحى جنح فى فهم المسيحية وحياة المسيح وقصة صلبه وغير ذلك الى الفهم الرمزى ، وهو فى ذلك يقول :

... واغلب الأدباء المسيحيين فيما نقرأ وما نعرف لم يعودوا يؤمنون بهذه العقائد كحقائق حرفية ، بل يرونها مجرد رموز ترمز الى حقائق عليا .

ثم يقول :

.. وواضح أن شعراءنا المسلمين الذين يستعملون « يستخدمون » فكرة الصلب فى شعرهم ، والذين ضرب عليهم الاستاذ بدوى مثالا ، انما يستطيعون هذا لأنهم فى موقف مشابه من هذه العقيدة المسيحية ... فهؤلاء الشعراء لا يقبلون العقائد المسيحية المقترنة بالصلب كعقائد ايمانية حرفية ،

فان دينهم يأبى عليهم أغلبها (**هو يابي عليهم جميعها ما عدا الولادة العذراء**) انما هم يستطيعون أن يفهموا فيها المعاني الرمزية العليا التي يراها أولئك المسيحيون الذين وصفتهم ٠

وهنا أعتقد أنه قد جاء دوري في الكلام عن « **العلاج** » و « **البديل** » ٠ ولكني أريد أولا أن أقول كلمتين قصيرتين : الأولى موافقتي التامة على هذا التعليل الذي علل به الدكتور النويهي هذه الظاهرة مع زيادة عليها هي أن هذا الفهم للعقائد المسيحية لم يعد فهما « **مسيحيا** » ، **بل اصبح فهما** «**انسانيا**» ومن حقه أن يكون كذلك ٠

الكلمة الثانية هي « تعديل » يسير في حديث الصديق الأستاذ عبده بدوي عن « بروز » الأفكار والرموز المسيحية في كثير من الشعر المعاصر ، و « تعديلي » ينحصر في القول بأن « بروز » هذه الظاهرة ليس وليد الحاضر القريب ، بل لقد ظهرت ثم برزت منذ أوائل هذا القرن ، ونستطيع أن نجد لها شواهد من الشعر والنثر أيضا في نحو ثلاثينيات هذا القرن وما قبلها ٠ أما حديث الاستاذ عبده بدوي عن يوسف الخال ، وحديث الدكتور لويس عوض عن صلاح عبد الصبور فواضح أنه لا يدل على « البروز » ، **وانما يدل على الفشو والاغراق والاستفحال** ٠

مفتاح حديثي عن « العلاج والبديل » كلمة صغيرة في أحد مقال **عبده بدوي** هي :

(٠٠٠ واما أن القوامين على الدين الاسلامي يبالغون في التحفظ على مثالياته ورموزه) ٠

« العدد ٥٢ من الرسالة » ، وكلمة أخرى في مقال الدكتور **النويهي** هي :

(٠٠٠ فالعقائد الدينية لا تستطيع أن تكون مصدرا للالهام الفني الانساني الواسع الذي يعنيه الاستاذ عبده بدوي ما دامت تقبل كحقائق مادية حرفية ولا تفسر تفسيرا رمزيا يوسع من مدلولها ويعمق من مفهومها ، فيجعلها تعبيرا عن تجارب انسانية عميقة وصراعات نفسية وفنية ومشاكل حيوية ومعاشية وروحية وأخلاقية وتناقضات اجتماعية ومحاولات للتوفيق ومطامح وآمال تتصعد اليها أبصار البشرية ٠٠٠ ومن الجلي أن نظير هذا الاتجاه لا يتحقق في موقف المسلمين من القرآن الكريم ٠ وان يكن بعض المفكرين « المسلمين » القدامى قد قالوا بشيء شبيه به عن علاقة الرسول عليه السلام بالوحي) ٠

هذا الذي يقوله الاستاذ بدوي من أن : « القوامين على الدين الاسلامي ٠٠ الخ » ، وهذا الذي يقوله الدكتور النويهي من أن : « نظير هذا لا يتحقق في موقف المسلمين ٠٠٠ الخ » ، وهذا وذاك صحيح **اذا قصرنا النظر على الفقه « السني » للدين الاسلامي وعلى موقف الفهم السائد للقرآن وقصصه عند أهل الغالبية الغالبة من سكان منطقتنا العربية ٠ اى الفهم القائم على مذهب « الأشاعرة »** ٠

ولكنا اذا وسعنا النظرة نحو « القوامين على الدين الاسلامي » بحيث **تشمل غير أهل السنة من الفاقهين لهذا الدين استطعنا ان نجد لأنفسنا وفهمنا الديني وشعرنا وادبنا مخرجا ومتنفسا يقوم على فهم قصص القرآن وتفسيرها تفسيرا رمزيا يغني شعراءنا ـ بعد طول الزمن والتمرس ـ عن الاستسلام لهذه الظاهرة من استخدام الرموز المسيحية وحدها** ٠

***

اذا كان لابد لنا نحن رجال هذا العصر ـ عندما يستقيم في عقلنا فهم لأمر من أمور الدين ـ من **استقبال الماضي واستلهام رجاله ، فنحن** ، في هذا الموضوع بالذات ، واجدون السند الذي نحتاجه من رأى الأقدمين ٠

نجد عندنا ، نحن المسلمين ، في بعض كتب التفسير وبعض كتب التاريخ قصصا رمزية يذكرونها عند تفسير قصة « آدم وحواء والخروج » مثلا ، كتلك التي ذكرت عن الجنة والنار والتي تقول ان الناس كانوا ـ في قديم من الزمن مجهول ـ يتنازعون ويتهارشون ، وأن الأخيار منهم كانوا ، كما كانت وما تزال طبيعة الحياة والناس ، مظلومين مقهورين من أشرارهم حتى نقلهم ـ أى الأخيار ـ ملك عادل اسمه : « بيشداذ » الى الموضع المسمى « بالفردوس » ، وهو من عدن الى سرنديب ، وفي هذه القطعة من الأرض منبت العود والقرنفل وأنواع الطيب وضروب النعم والملذات المعنوية ٠

ومكث الأخيار هناك الى أن عثر عليهم « عفريت » هو ملك الأشرار فأخذ يتازعهم ويغويهم ، ثم وجد الملك « بيشداذ »في ذلك الموضع غلاما وفتاة لا يعرف لهما أب ولا أم فرباهما واختار لهما اسمين وزوج أحدهما من الآخر • ثم أخطأ الغلام والفتاة خطأ كان سببا فى أن أخرجهما « بيشداذ » من تلك الأرض » •

وهذه هى قصة آدم وحواء وابليس « ملك الأشرار » الذى اخرجهما من « جنة عدن » • هذه قصة آدم وحواء على انها رمزية • وهى قصة بقيت قرونا متطاولة يتداولها الناس حتى نجد ابن بطوطة ، فى القرن الثامن الهجرى : « الرابع عشر الميلادى » •

يقول فى زيارته لبعض بلاد هذه المنطقة انه زار فى بلد منها « قدم سيدنا آدم » وأن الناس هناك يسمونه « بابا » ويسمون حواء : « ماما » • وانه زار قدم « بابا » آدم فكان طولها أحد عشر شبرا !

وقد ذكرت منذ قريب أننا نجد هذا الحديث الرمزى ومثله عن قصص القرآن عند « غير أهل السنة » من الفاقهين للاسلام والقرآن • ولكن هذه القصة التى لخصت خبرها عن آدم و « بيشداذ » لم أجدها عند عالم معتزلى ولا مفسر شيعى ، بل ذكرها **أبو الريحان البيرونى ولم ير حرجا من ذكرها ولاوجد غيره فى ذكره لها حرج• وابوالريحان البيرونى رجل ممتاز العقل عميق الفهم واسع الثقافة كان من اولئك القليلين الذين ضاقوا ذرعا بهذه الخصومات السوداء بين المسلمين** واستقل بفهمه عن سنة وشيعة ، بل أراد أن يظهر سخطه على هذه الفرقة والخصومة واللدد **فكان يلبس فى اصبعه خاتما رسم عليه شعارين : احدهما لأهل السنة والآخر للشيعة •**

وهذه « الرمزية » فى قصة آدم وحواء نجدها **فهما** قال به مفكر مسلم من كبار المسلمين الذين لا يشك أحد فى اخلاصهم ولا غيرتهم على الاسلام : هو الشاعر الداعية محمد اقبال •

فهو يقول بهذا التفسير الرمزى ويشرح الآيات القرآنية على اساسه • ولئن وجدنا البيرونى يذكر قصته الرمزية على انها من « الآثار الباقية عن القرون الخالية » فان اقبالا يقول بتفسيره الرمزى « **رأيا** » فى فهم الآيات القرآنية ولا يرى فيه أى مجافاة للعقيدة ، بل هو يرى ، **على العكس من ذلك ، انه مدعاة للمعرفة حافز على التطلع •**

« انظر الفصل الثالث من كتابه : تجديد التفكير الدينى فى الاسلام » ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة • وانظر ايضا الفصل الثانى من كتابنا : « الدين والضمير » الطبعة الثانية : دار العلم للملايين ، بيروت •

وذكر البيرونى ايضا هذه القصة التى تدور حول ابراهيم الخليل واختتانه وخروجه على قومه عبدة الأصنام والنجوم : خرج ابراهيم من جملة الصابئة لأنه ظهر فى « قلفته » برص ، ومن كان به ذلك فهو عندهم نجس لا يخالطونه ، فقطع ابراهيم قلفته ــ أى اختتن ــ بسبب ذلك ، ثم دخل بيتا من بيوت الأصنام للعبادة فسمع صوتا يقول له : يا ابراهيم ، خرجت من عندنا بعيب واحد وجئتنا بعيبين •• ! أخرج ولا تعد ، فحمله الغيظ على أن يخرج من ملتهم • ثم ندم بعد ذلك وأراد أن يذبح ابنه لكوكب المشترى • فلما علم المشترى صدق توبته فداه بكبش •

هذه قصة رواها البيرونى ، العالم المسلم العظيم ، تتصل بابراهيم الخليل مما عرفه من « الآثار الباقية عن القرون الخالية » •

فاذا انتقلنا الى تفسير « الكشاف » ــ وهو كما

نعلم معتزل – وجدناه يفسر **قصص القرآن ، بل بعض آياته غير القصصية ايضا ، تفسيرا رمزيا :**

يقول بهذه الرمزية فى تفسير الآية الكريمة :

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ·

الآية ٢١ من سورة الحشر ·

ويقول بهذه الرمزية فى تفسير الآية الكريمة :

ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين · الآية ١١ من سورة فصلت · فهى ، على حد تعبيره ، **من المجاز الذى يسمى التمثيل ··· والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير ، من غير ان يحقق شىء من الخطاب والجواب ·**

ويمثل الزمخشرى لذلك بمثل واضح هو قول القائل :

قال الجدار للوتد : لم تشقنى ·· ؟ قال الوتد : اسأل من يدقنى ·

فان القائل لم يقل للوتد شيئا ولم يجبه الوتد بشىء ·

وكذلك يفسر بهذه الرمزية الآية الكريمة :

انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ·

الآية ٧٢ من سورة الأحزاب · ويفسر بهذا التفسير بعض قصة نوح ·

بل نجد مفسرا **سنيا** ، هو البيضاوى ، لا يرى باسا من اتخاذ التمثيل والتصوير سبيلا الى تفسير آيات القرآن ·

فاذا خطونا خطوة أخرى فى نفس الطريق نحو تفسير المتصوفة وجدنا ما هو أوضح وأفصح : نجد محيى الدين ابن عربى ، مثلا ، يفسر قصص الأنبياء على الرمز والتصوير والاشارة ، **فالتابوت – فى قصة موسى – هو الطبيعة البشرية « الناسوت »، واليم الذى فيه هو المعرفة والعلم ، وقد** استطاع موسى أن ينفذ الى اليم وينجو بواسطة قواه الفكرية النظرية ، **والمراضع التى رفضها موسى – غير لبن امه – اشارة ورمز الى انه سيرفع الشرائع السابقة كلها برسالته التى اختص بها ·**

وكذلك يقول ابن عربى فى قصة الطير الذى نفخ فيه عيسى ، وقد كان فى هيئة الطير فصار طيرا باذن الله : هيئة الطير من الطين ترمز الى النفس المقيدة بطبيعتها الأرضية ، والنفخ هو العلم الالهى ، والصيرورة الى طير حقيقى تشير الى النفس العاملة الكاملة المجردة التى تطير الى جناب القدس بجناح العشق ·

وكذلك يقول فى **عصى موسى** :

وما تلك بيمينك يا موسى الآية · وفى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام · الى غير ذلك مما نجده فى كتابه : « فصوص الحكم » ولا أريد أن استقصى ، ففى هذا الذى ذكرت كفاية · ونحن نعرف فى حياتنا الفكرية عملين عظيمين **استخدم فيهما قصص القرآن وآياته : رسالة الغفران للمعرى** ، وأهل الكهف لتوفيق الحكيم ·

هذه كلمتى عن امكان « الدعوة » الى الرمزية فى تفسير القصص القرآنى ، **قلتها برفق واناة وتلطف** ، لأنى **تأملت طويلا هذا** السبيل اللين الهين الحذر الذى سلكه الدكتور النويهى فى مقاله، ذلك السبيل الذى جعله يكتب هذه الكلمات المتهيبة :

لست أعنى بشىء مما تقدم أننى « أدعو » الى أن نطور فكرنا الاسلامى وقبولنا الايمان حتى نبلغ هذه المرحلة من الفهم الرمزى ، فليست محاولتى الراهنة أن « أدعو » الى هذا أو الى نقيضه انما هى مقصورة على التفسير لواقع الحال ·

وهذه هى كلمة « التعجب » التى وعدت بأن أنهى بها هذا المقال ·

سياسة الدعوة فى الإسلام

ابن عباس يفحم الخوارج

بقلم منصور رجب

اذا قيست قوة الأمة بمواقفها القوية الممتازة المضيئة فنحن بمالا يحتمل مجالا للشك من أقوى الأمم التى ظهرت على وجه الارض : فكم لنا من مواقف : فى السلم · والحرب ·· والسياسة ·· والعلم ·· والفقه ·· والأدب ؟ ·· الى آخر ما سطر التاريخ لنا من مواقف تجل عن الحصر والوصف والاطراء ·

لكن : هل ينفع امة أن تتباهى بمواقفها المضيئة من غير أن تنفعل بهذه المواقف ايجابيا فتسير كما ساروا وتنهج كما نهجوا ؟ ··

نحن اذ نذكر اليوم بهذه المواقف فانا لنرجو ان نثبت للعالم انا لم نفقد أنفسنا· ولم ننس ثقافتنا· ولم نتنكر لروح ديننا ، ذلك الذى محا نوره ظلام الهذيان ، وحط عن كاهل الانسان نير البغى والطغيان ·

ونبدأ اليوم بموقف لابن عباس رضى الله عنهما هو اسمى ما يتصور انسان فى باب الدعوة الى الحق « **والله هو الحق المبين** » ·· ويتلخص هذا الموقف فى انه لما خرجت احدى الفرق على على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ذهب اليه ابن عباس فقال له: دعنى أكلمهم · **قال** : انى أتخوفهم عليك · **قلت** : كلا ان شاء الله فلبست أحسن ما أقدر عليه من الثياب ، ثم دخلت عليهم وهم قائلون فى نحر الظهيرة · فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادا منهم · أيديهم كأنهما ثفن ابل ـ اى ركب ابل كناية عن شدة غلظها ، ووجوههم عليها اثر السجود · فدخلت عليهم **فقالوا** : مرحبا بك يا ابن عباس · ما جاء بك ؟ ··· **قلت** : جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم · نزل الوحى وهم أعلم بتأويله · **فقال** بعضهم : لاتحدثوه · **وقال** بعضهم : لتحدثنه · **قلت** : أخبرونى · ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه : أى صهره ، وأول من آمن به وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ؟ ··· **قالوا** : ننقم عليه ثلاثا · قلت : وما هن ؟ ···· **قالوا** : أولاهن أنه حكم الرجال فى دين الله وقد قال الله عز وجل : « ان الحكم الا لله » **قلت** : وماذا ؟ ··· **قالوا** : قاتل ولم يسب ولم يغنم · لئن كانوا كفارا لقد حلت له أموالهم وان كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم ·· **قلت** : وماذا ؟ ··· قالوا : ومحا نفسه عن أمير المؤمنين · فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين · **قلت** : ارأيتم ان قرأت عليكم من كتاب الله المحكم · وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون · أترجعون ؟ ··· **قالوا** : نعم · **قلت** : أما قولكم انه حكم الرجال فى دين الله · فان الله تبارك وتعالى يقول ـ فى سورة المائدة آية ٩٥ ـ : « يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدم منكم »

وقال في المرأة وزوجها ـ في سورة النساء آية ٣٥ ـ: «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها » أنشدكم الله • أفحكم لرجال في حقن دمائهم وانفسهم وصلاح ذات بينهم أحق • أم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟ ••• **فقالوا** اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم • قلت : أخرجت من هذه قالوا : اللهم نعم •

قلت : واما قولكم : انه قاتل ولم يسب ولم يغنم• أتسبون أمكم • ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ ••• لقد كفرتم ان قلتم : نعم • وان زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الاسلام فان الله عز وجل يقول في سورة الاحزاب آية ٦ ـ : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه امهاتهم » فأنتم تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم ؟ ••• أخرجت من هذه ؟••• **قالوا** : اللهم نعم •

قلت : واما قولكم : محا نفسه من أمير المؤمنين• فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا **فقال** : « اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » **قالوا** : والله لو نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت• ولا قاتلناك ولكن : اكتب محمد بن عبدالله • **فقال:** « والله انى لرسول الله وان كذبتمونى » اكتب يا على محمد بن عبد الله • فرسول الله كان أفضل من على ، ومع ذلك محا نفسه من الرسالة ، **قال :** أخرجت من هذه ؟ ••• **قالوا** : اللهم نعم • فرجع منهم عشرون ألفا • وبقى على غيهم أربعة آلاف •

هذا موقف من ألمع المواقف في سياسة الدعوة • وكان من أثره ما قد سمعتم من هداية من خرجوا على على رضى الله عنه وكرم الله وجهه فانظروا أثر المنطق السليم والعقل الراجح والفهم الناضج في ارجاع الناس الى الحق ؟ ••• ان وضوح الفكرة وقوة الدليل وسلامة اللغة من ألفاظ العنف والفظاظة كل ذلك يفعل في النفوس فعل السحر• فهل تفعل في مناقشاتنا وجدالنا وتجلية الحق لمن يخفى عليه الحق أو يشتبه ؟ •••

بعض الناس يفقد أعصابه في النقاش والجدال فلا يجنى من وراء ذلك الا العداوة والبغضاء وقد يجر الأمر الى القطيعة • ولا تسل عما قد يترتب على ذلك من انحلال في المجتمع واختلال في النظام العام وفساد في اخلاق الامة .

ان الدعوة الى الحق لها سياسة : سياسة في العبارة • سياسة في تقديم الدليل • سياسة في اختيار الوقت المناسب • سياسة في شيء • ولقد أجمل القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ هذه السياسة فقال : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وقال لنبيه موسى عليه السلام حينما أرسله الى فرعون : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وقال صلى الله عليه وسلم للطفيل بن عمرو الدوسى لما قال : ان قومى قد غلبونى على الربا فادع الله عليهم فقال له صلوات الله عليه : اللهم اهدهم • ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم » يقول الطفيل فرجعت الى قومى فلم أزل بهم أدعوهم الى الاسلام حتى هاجروا الى النبى صلى الله عليه وسلم مسلمين •

ومن هنا نفهم السر في أن الاسلام يعتبر الكلمة الطيبة صدقة : ذلك أنها بريد الخير الى القلوب • ورسول السلام الى الأفئدة •• فهل لنا أن نتأدب بأدب الاسلام في حوارنا ونقاشنا وجدالنا وكل ما يتصل بحياتنا من قريب أو من بعيد ؟ •••

ان كل عمل شريف قد أتاه الانسان يعزى الى تأثير الكلمة الطيبة في القلب •

أعلام منسيون

عمر لطفى

"بقلم : أنور الجندى"

لم تكن اليقظة الوطنية فى أوائل هذا القرن وجدانية عاطفية ، أو قاصرة على الخطابة والكتابة الحماسية كما يحلو للبعض أن يصورها ، ولكنها حملت فى تضاعيفها كل بذور العمل الايجابى ، غير ان الاستعمار كان قادرا اذ ذاك على قتل هذه البذور فى تربتها حتى لا تنمو . وفى ظل هذه اليقظة ظهرت الدعوة الى انشاء الاندية والنقابات العمالية والجمعيات التعاونية والبنوك والمصارف الوطنية . وفى هذا المجال ظهر « **طلعت حرب** » بدعوته الى انشاء مصرف مصرى ، و « **عمر لطفى** » بالدعوة الى التعاون كوسيلة لحل الأزمة الاقتصادية التى أصابت الفلاح المصرى ١٩٠٧ ، فقد رأى المحامى الوطنى كيف أثرت هذه الأزمة الحادة فأنزلت أثمان القطن ، وسائر المحصولات الزراعية، وكيف اضطربت حياة الفلاحين ، وتعددت الآراء فى البحث عن علاج ، واقترحت وسائل مختلفة ولكنها كانت أشبه بالمسكنات الوقتية .

وخرج عمر لطفى عن كل هذه الآراء ، ونادى بحل جذرى قال ان « التعاون » هو الحل الوحيد الذى يكفل للفلاحين ما يرجون من اصلاح فى نظامهم الاقتصادى لأنه يمد الفلاح بما يحتاج اليه من مال دون ربا او شرط اضطرارى أو جبرى كشروط المرابين الذين كان الاستعمار قد افسح لهم فغمروا كل قرية يعصرون فلاحيها بالقروض ، ثم ينتزعون بالمحاكم المختلطة أراضيهم وأبقارهم وماشيتهم .

واعلن «عمر لطفى» صيحته داعيا الى انشاء الجمعيات التعاونية ، ومضى يجوب القرى المصرية محتملا كل متاعب التنقل، تاركا مكتبه فى القاهرة، من أجل الدعوة الى التعاون كحل جذرى لمشكلات الفلاح . ولقى فى سبيل ذلك الكثير من النقد والتقريع من خصوم الوطن وأذنابهم فضلا عما لقى من مشقة وجهد .

وكان قد اراد أن يعمق دعوته بالدراسة الواسعة والخبرة الكاملة فقام بعدة رحلات الى ايطاليا حيث التقى بالتعاونى « لويجى لوتسانى » ودرس عليه نظام الجمعيات التعاونية ، كما درس أنظمة التعاون المطبق فى فرنسا وسويسرا والمانيا وغيرها من بلاد اوربا . وواصل سفره سنوات ١٩٠٦ ١٩٠٧ و ١٩٠٨ من أجل هذا المشروع الذى أخذ عليه كل جهده واعتبره أهم عمل كبير للأمة مجردا من الغرض الشخصى ولم تثنه كل المثبطات عن خطته .

وكانت صيحة « عمر لطفى » الى التعاون عام ١٩٠٧ جديدة وجريئة فقد لفتت الانظار وأخذت حكومة « مصطفى فهمى » صنيعة الاستعمار فى مقاومتها ولكن الداعية المؤمن مضى فى طريقه ، وعقد عديدا من الاجتماعات الكبرى فى نادى المدارس العليا الذى اشترك فى تأسيسه وتولى شرف رياسته وكانت دعوته على هذه الصورة :

« يعتقد بعض الناس أن تفريج الأزمة المالية لا يكون الا بجلب رءوس الأموال من البلاد الأجنبية واقراضها للاهالى حتى تدور حركة الاعمال كما كانت عليه قبل سنة ١٩٠٧ وفاتهم أن الديون التى على المصريين قد أثقلت كاهلهم ، وانه كلما كثر الدين زادت الفوائد التى تدفع سنويا لارباب رءوس الأموال ، فالتفريج من هذا الوجه تفريج وهمى لا أساس له ونتيجته فى المستقبل ضارة وخيمة ، وفى اعتقادى ان أهم أسباب المضاربات انما كانت من تهاطل الأموال الاجنبية على مصر ، واقراض بعض البنوك النقود دون الالتفات الى وجه استعمالها ، وبعبارة أخرى ، لو استعملت تلك الأموال لتنمية مصادر الثروة الحقيقة فى التجارة والصناعة والزراعة لما وقعت مصر فى الأزمة المالية

الحاضرة ، بل كانت حال مصر تتبدل من حسن الى احسن ، ولكان المصري اليوم يرتع فى بحبوحة من السعادة والهناء • وعندى ان أساس الاستقلال والحرية فى كل أمة هو « الاستقلال الاقتصادى »•

هكذا كان يفهم « **عمر لطفى** » الموقف ، ويرى الحل فى انشاء النقابات الزراعيه ، حيث تتشكل النقابه فى كل بلد ، من مجموعة أهله ، ويجمعون مالا يوجه الى تقديم الاسمدة والبذور والسلف الزراعيه للفلاحين والمزارعين الصغار ، وتحصل أثمانها بعد ظهور المحصول وبيعه •

ومن أهداف مشروعه ايجاد علاقة تجارية رئيسية بين المزارعين المصريين والمصانع الاوربيه عن طريق تلك النقابات دون وساطة المرابين او المضاربين ، ثم انشاء نقابة عامة تجمع النقابات الزراعيه المصرية وتؤلف بينها ، وبوصفه احد المشرعين الماهرين فقد استطاع استخلاص التكييف القانونى للجمعيات التعاونية فى مصر ومبادئها •

ومضى « **عمر لطفى** » يزور القرى والنجوع والدساكر يدعو دعوته ، وقد استجابت أول قرية لدعوته وهى قرية سنتماى (ميت غمر) ونجحت بها فكرة قيام أول جمعية تعاونية ، وكان **الشيخ بركة** عمدة سنتماى أول رئيس للجمعية التعاونية فى قريته •

وفى قرى شبرا النملة (طنطا) وكفر الحمام ونشيل بالغربية وأوليله بالدقهلية وميت القرشى بالشرقية وناموال بالقليوبية وخربتا بالبحيرة وبشتيل وناهيا بالجيزة والنويرة ببنى سويف تكونت جمعيات تعاونية وبدأت تنفذ فكرة عمر لطفى •

كما تمكن من انشاء شركات التعاون المالى والتعاون المنزلى ونقابة عمال المصانع ، ومضى عمر لطفى يطوف القرى، صادق الايمان بوطنه ، لايطلب اجرا ، متواضعا سمحا ، لا يعرف الغرور ، شأن أصحاب المبادىء ، طلعة مشرقة ، وروح عالية ، وايمان بالله وبأمته على حد قول شوقى عنه :

تمشى الى الأكواخ ترشد أهلها
مشى الحواريين يهدون القرى
متواضعا لله بين عباده
والله يبغض عبده المتكبرا
فى كل ناحية تخط نقابة
فيها حياة أخى الزراعة لو درى

ولا عجب أن يقف عمر لطفى نفسه على هذا العمل، وهو ثمرة المدرسة الوطنية التى عرفتها مصر بعد الاحتلال البريطانى • وقد تتلمذ على مصطفى كامل وتخرج فى يوم واحد من مدرسة الحقوق مع محمد فريد فى مايو ١٨٨٧ ، وهو المحامى النابه الذى شغل منصب وكيل مدرسة الحقوق ومؤسس نادى المدارس العليا •

ولكن ما سر اتجاه عمر لطفى الى هذا العمل الذى يدعوه لأن يترك أعماله ومؤلفاته ومكتبه الذى يدر عليه المئات ذاهبا فى طريق الكفور والنجوع •

لقد شب عمر لطفى فى هذا الجو العجيب المشحون بآثار الاستعمار البريطانى وهزيمة عرابى ونفيه ، وسمع وقع خطوات « جمال الدين الافغانى » على أديم الحياة المصرية ، وما كان لها من آثار ، ثم قرأ مجلة « الاستاذ » لعبد الله نديم ، وهو شاب ثم رأى مصطفى كامل وقاسم أمين ومحمد عبده •

ومن عصارة هذه الصيحات امتلأت روح عمر لطفى ـ وهو غير عمر لطفى محافظ الاسكندرية عدو الحركة الوطنية أيام الثورة العرابية ـ فهو يرى وطنه مهينا ، وكرومر يضغط عليه بقوة ، ويذيقه الوانا من الترويع والتعذيب، ويسوق الفلاحين الى السخرة بالكرباج ، ويقع حادث دنشواى سنة ١٩٠٦ فيهزه هزا ، وتضطرم نفسه حزنا وألما ، ثم يمضى فيحول هذه الطاقة الوطنية الى عمل نافع ، عمل ايجابى ، ثم يهل عام ١٩٠٧ فاذا الأزمة تعصر الفلاحين عصرا ، وتأخذ برقابهم ولا بد من حل •

وفكر عمر لطفى ، وهتف : انه « التعاون » يحل المشكلات وقال لنفسه : انه سيعمل وظل خلال هذه السنوات يعمل حتى توفى فى ١٤ نوفمبر ١٩١١ وكان قد قطع شوطا ربما كان يكون أطول لو وجد من الحكومة استجابة ، ولكن الحكومة التابعة للاستعمار كانت تقاومه والصحف المعارضة كانت تقاومه .

والواقع أن حياة « عمر لطفى » كانت خصبة

عريضة ، فان له جانبا آخر سبق به دعوة التعاون وبرز فيه : هو جانب مؤلفاته وابحاثه فى مجال القانون والشريعة الاسلامية .

ولعله من أول الباحثين الذين تحدثوا عن « حق المرأة » فى رسالة له طبعت فى القاهرة (١٨٩٧) قبل صيحة قاسم أمين ، كانت خلاصة محاضرة باللغة الفرنسية ألقاها (فى سبتمبر ١٨٩٦) وابان فيها حقوق المرأة فى الشريعة الاسلامية وقارن بينها وبين ما للمرأة الغربية من الحقوق ، وكيف ان الجنس اللطيف - كما كانوا يسمونه - وجد من الشريعة الاسلامية حماية لم يجدها فى القوانين القائمة اذ ذاك .

وقد عنى عمر لطفى بالتأليف فى الشريعة الاسلامية فأصدر مؤلفه الهام : « الدعوى الجنائية فى الشريعة الاسلامية » وكتابيه « حرمات المنازل » و « حق الدفاع » وكان لهذه المؤلفات صدى بعيد فى آفاق الكليات الاوربية قبل أن يسمع بها العالم الاسلامى ، وقال الكتاب الغربيون ان المؤلف عرف حاجة الشريعة معرفة صحيح النظر المنصف .

وكان قد اختار كتابه « الدعوى الجنائية فى الشريعة الاسلامية » ليقدمه لمؤتمر المستشرقين فى صيف ١٨٩٤ ، واعتمد فيه على عشرات المراجع أمثال : الميدانى والنفحة الملوكية والفخر الرازى وتاريخ الطبرى وقرة العيون لابن عابدين ، وابن خلدون ، والسيوطى ، والفوائد البهية فى تراجم الحنفية والهداية لشيخ الاسلام برهان الدين ، وابن عابدين ، ومعين الحكام وملتقى الابحر ، والزيلعى ، والجوامع فى السياسة الالهية لابن تيمية ، والعقد الفريد وغيرها ..

ومن رأى عمر لطفى فى هذا الاتجاه : ان أول واجب على الشرقى لشريعته أن يعززها بأن ينزل بقواعدها فى مضامير التقنين الحديث ، ويرفع صوته بما تحويه من بالغ الحكم فى التشريع ، حتى يحلها مكانها من احترام العالم المتمدن ، وحتى تسقط دعوى الأوربيين الذين يرون ان الاسلام مرادف للتأخر والوحشية .

وقد أعلن كبار رجال القانون العالمى اعجابهم بابحاث عمر لطفى ، يقول **شارل ميرمير** : اسمحوا لى ان أنصح لجميع المسلمين فى شخصكم الا يطلبوا مستقبلهم فى تقليد النظامات الاوربية ، فاطرحوا هذه النظامات وارسلوا النظر فى مشهد ما نحن فيه من الفوضى الخداعة ، واطلبوا من دينكم الذى هو اسمح دين وأكثره مساواة ، مفتاح مستقبلكم ولا تفضلوا أن تستعيروا منا الا الاكتشافات العلمية الخاصة بانماء سعادتكم الملية .

ويقول **مسيو فرنان داجين** : لقد كان الاعتقاد السائد فى فرنسا ان احترام المسكن لا يشغل من تقنين العالم الاسلامى الا مكانا حرجا ، على انه اذا كانت الحوادث التى يستحق أن يوصف عليها ، وهى لسوء الطالع كثيرة الوجود ، تثبت ان الحرص على عدم انتهاك المساكن فى البلاد الاسلامية أمر قليل الأهمية ، فانه ليس بأقل من ذلك قربا للحق ، ان الشريعة الاسلامية تحرم مثل هذا الانتهاك تحريما مطلقا .

والمؤلف يذكر أن القرآن يحرم على كل شخص أن يدخل بيت الآخر بغير رضاه الا فى حالات أربع : اذا كان مرخصا له بالدخول ، واذا دعى اليه فان الدعوة تساوى الاذن فى الدخول ، وفى حالة حريق أو فيضان أو ارتكاب جريمة ، اذ البيت فى هذه الحالة يكون مفتوحا للأفراد كالحانوت أو الحمام أو نحوهما .. »

على هذا النحو بدأ عمر لطفى حياته الفكرية بعد تخرجه من الحقوق وانتظامه فى التدريس بها ، ثم تحول عام ١٨٩٣ الى الاشتغال بالمحاماه .

ومجالاته فى أبحاث الدعوى الجنائية وحق المرأة وحق الدفاع وحرمة المساكن كل هذه الابحاث لفتت النظر بقوة الى الفكر العربى الاسلامى وواجهت الدوائر القانونية الأوربية هذه الأعمال بتقدير كبير . وكتابه فى الامتيازات الأجنبية أول كتاب عربى فى هذا الموضوع ، غير أن عمر لطفى لم يقف عند هذا الحد ، بل قصد الى عمل أكبر ، فكان «**رائد التعاون**» وزميل أوين وريفيزن ولوتانى رواد التعاون فى أوربا ، واليوم وقد بلغ التعاون غايته الكبرى فى ظل الثورة يذكر فضل هذا الرائد المبرور المتوفى فى ١٤ نوفمبر ١٩١١ .

فلسطين

للشاعر محمد علي احمد

((قف .. قف .. قف))

لقد انطلقت هذه الكلمة المحذرة المانعة من أفواه الحراس عندما قاربت حدود خط الهدنة منطلقا بلا وعى الى ارضنا السليبة فلسطين .. فكانت هذه القصيدة :

قف بباب الحمى وقبل ترابه   وارقب الحى نجعه وشعابه
ماله مغرقا مع الصمت يشكو   من هموم يلف فيها عذابه
هذه الحزن واعتلاه شحوب   والجراحات مزقت آجنابه

***

صامت والاسى يظل روابيه   ويلقى على السفوح ضبابه
والمنى فكرة تثير رؤاه   تشترى عمره وتطوى شبابه
بات كالطائر الجريح تهاوى   وطوى جنحه على ما اصابه
يطلع الفجر فى رباه حزينا   ثم تبكيه فى الاصيل سحابه

***

هذه ارضنا وهذا حمانا   شتت الغدر اهله وصحابه
مزقت شمله الذئاب الضوارى   واستحلت غذاءه وشرابه
سلبوا امنه وعاثوا فسادا   ودمارا وشتتوا اربابه

***

كان بيتى هنا ، وكان رفاقى   وزمان الصبا شربنا رضابه
كان بيتى . وكل من فيه اهلى   يملا الأمن دربه ورحابه
كان حقلى . على مدى الأفق حقلى   تنتشي فيه خضرة جذابة
سنبلاتى بارضه راقصات   وطيورى بافقه منسابه
وعلى السفح عنزتى وشياهى   لاهيات بحضنه وثابه
ومع الموج راح يسبح طفلى   يحرس الشط حانيا جلبابه

***

كنت عند السياج بعثرت حبا   فاطمأنت وعرشت ابلابه
والفراشات فى الصباح نشاوى   ارجحتها مع النسيم ربابه
تعبر النور للورود سكارى   سارقات من الشروق خضابه

كان صبحى مع البيادر فرحا ونهارى منى وليلى صبابه
امسياتى به جمال وسحر وصلاة ودعوة مستجابه
يوم كان الهوى صدى اغنيات ذوبتها على فمى شبابه

***

يا فلسطين والشباب غضوب سمم الحقد سهمه وحرابه
فى غد تزحف الجموع لهيبا تزحم الافق او تشق حجابه
وغدا نلتقى شعوبا وجندا بصدور تضج فيها الصلابه
وغدا تزار الاسود غضابا تهزم الموت ، تستخف صعابه
وتثور السماء والارض والأفـ ـق الامانى قوة غلابة
وتحيل الرمال والصخر نارا تحرق الشر ثم تذرو ترابه
وتذيق العدو فى الحق كاسا طافحا يملأ المرار شرابه

***

يا حمى العرب فى غد نتلاقى يوم عيد بارضنا المخصابه
ملء تاريخنا سطور وضاء خطها المجد عزة ومهابه

***

فغدا نصنع السلام ونبنى ونعلى بين السحاب قبابه
وغدا نملأ الديار امانا وغدا يعرف السؤال جوابه

محمد على احمد

من أغانى الصّبّاح

• للشاعر: محمد مصطفى المليجى •

تحت الشباك غدا يشدو عصفور الجنة نشوانا
يشدو للصبح وللنور ويطير ويقفز فرحانا
والماء يصفق فى فرح والروض تالق جذلانا
ونسيم الروض يعطره فل قد داعب ريحانا
والشمس تراءت فى حلل والأفق تالق وازدانا
وعليه وشاح « ذهبى » ند جمع فيه الألوانا
ومراكب يدفعها ريح ند شقت فى البحر مكانا
وحقول القمح قد امتدت والتبر يعانق كثبانا
وعقود الروض قد انتظمت وتراءت تبرا وجمانا
وعطور الروض قد انتشرت والزهر تفتح تيجانا
واكاد اقبل مبسمه واعانق قلبا وجنانا
فشدوت اردد اغنيتى وسموت وجزت الاكوانا
والعيش سلام « وامان » والخير يحيا انسانا

لمحات من قضايا الناس

للمستشار أنور حجازي

وكيل النيابة العامة كالقاضي تماما ، كلاهما جندي في ساحة العدالة ، وكلاهما سند أصيل لها ، ودعامة مأمولة في سبيل تهيئة أسبابها حرصا منهما على بلوغها الكمال المنشود .

كلاهما قوة هادفة ، يبذلان الجهد سخيا مضنيا لصون اعتبارها ولاقامة دعاماتها راسخة رفيعة متأبية . متصيرفينا رجاء يستجير به كل مظلوم ليجد الامن والامان والاطمئنان ، ويأوى اليه كل ذى حق مسلوب ليرتد اليه حقه سليما مبرءا ، ويلوذ به كل مغلوب على أمره ليظفر بالعون والحماية والسلام .

يلوذ بالعدالة كل انسان حتى ولو كان وافدا على ارضها غريبا عن مجانها ، يأوى اليها كل أجنبى وكل يستوى عندها وفى محرابها كل الناس ، أى الناس طارىء مستجير ، ذلك لان العدالة وطنهم الدنيا حتى ولو كانوا من غير المقيمين على أرضها .

وآية ذلك ، أتمثل له بتلك القضية التى رسبت فى نفسى منها معالم لا تنسى ، معالم ان كانت تطوى فطنة ، فهى تطوى كذلك حرصا والحاحا لاستجلاء معالم الحق واظهاره مضيئا لتخفق ألويته منشورة على الوجود كله حماية للبشرية جمعاء .

كنت أمارس العدالة وشئونها فى منطقة القناة ببورسعيد منذ خمسة عشر عاما ، حين أخطرت بحادث وقع على أحد ضباط باخرة فرنسية اثناء وقوفها بميناء بورسعيد ، اذ نزل الضابط الى المدينة يتجول فى احيائها والتقى به مجهول اصطحبه الى عدة اماكن بالمدينة حتى اذا ثمل من افراطه فى الشراب ، اعتدى عليه ذلك المجهول وسلبه بعض ماله ، ولما اخطرت الشرطة ورجال المباحث الجنائية بالواقعة تعاون جميعهم فى سبيل الكشف عن ذلك المجهول تعاونا صادقا ملحوظا .

وبدأت السلطات تجمع الاشخاص المشتبه فى أمرهم الذين ساء سلوكهم واسودت صحيفتهم ، وقام وكيل النيابة لمباشرة التحقيق لان الواقعة تشكل جناية سرقة باكراه ، واسترسل فى استظهار معميات تلك الواقعة عله يصل من خلال مناقشته الى ماينير السبيل ويكشف عن الغموض الذى أحاط بها ، واسرف فى مناقشة حراس المنطقة التى وقعت فيها الواقعة ، وكانت كلهاجهود ضاعت سدى ، واذ كان وكيل النائب العام مسترسلا فى مناقشة واحد من هؤلاء الحراس جاء ضابط المباحث وهمس فى أذنه مستئذنا ، فوقف وكيل النيابة التحقيق ، وقام من فوره مستصحبا الضابط ودخلا معا غرفة السجن بالقسم حيث استعرض جميع المشتبه فى امرهم مختصا احدهم باهتمامه وهو الذى أشار اليه الضابط ، فوجده مضطربا نوعا ، يضع يده على شفته العليا موضع شاربه ، واذ فاجاه وكيل النيابة بسؤاله عن سبب وضع يده على فمه ازداد اضطرابا ، ثم اقتيد الى غرفة التحقيق لاستجوابه ، وابتدره وكيل النيابة بسؤاله عن السبب المفاجىء لازالة شاربه فصعق الشاب من هول المفاجأة التى لم يعمل لها حسابا .

والمفاجأة بدأت حين قبض على هذا الشاب مع من جمعوا لمجرد الشبهة واستجابة لدواعى الظن والتخمين ، وأثناء تجمعهم فى غرفة الحجز بالقسم سرى بينهم أنهم سيعرضون جميعهم فى عملية عرض قانونية على الضابط الفرنسى المجنى عليه .

وخشى المتهم افتضاح أمره فهداه تفكيره الخاطف الى محاولة علها تعصمه من كشف أمره ، والمحاولة هى أن يزيل شاربه باكمله ، لعله بازالته يموه على المجنى عليه الذى قد يستعصى عليه التوصل الى

معرفته ، واستعان بزميل له كان يعمل « حلاقا » ، وطلب اليه ان ينزع خيطا طويلا من جلبابه، استخدمه « الحلاق » في نزع شنب المتهم شعرة شعرة ، ونجح في ازالته كل معالمه ·

وأثناء عملية نزع الشنب ، كان جميع المشتبه في امرهم تحت ملاحظة احد رجال الشرطة السريين الذى راقب تلك العملية منذ بدأت ، فسارع الى اخطار الضابط الذى تحقق منها بنفسه ، وعندئذ اخبر بها وكيل النيابة الذى كان يتولى التحقيق ·

ضيق وكيل النيابة الخناق على المتهم ليمسك باطراف الدليل او بما عساه يوصل اليه ، ولكن المتهم كان جامد التقاطيع يتمتع بارادة فولاذية ، واصر على انه لم يكن له شارب فى يوم من الايام ، ولكنه حقيقة طلب من زميله ازالة شعيرات قليلة جدا كانت متناثرة حول فمه دون أن تشكل شاربا على الاطلاق ، وارجع الى ذلك سبب احتقان شفته العليا نوعا ، ثم استطرد من ذلك الى نفى اى صلة له بالواقعة ، وان لا شأن له بها او بمرتكبها ، وأنه براء مما هو منسوب اليه ، ثم أكبر نفوره من الواقعة وازدراءه لمن اقترف هذا الاثم المقيت الذى يسىء الى سمعة وطنه عامة والى بورسعيد خاصة ·

ولم يقتنع وكيل النيابة بهذا الدفاع المجيد ، كما لم يقتنع ضابط المباحث ، ورأى وكيل النيابة استكمالا لأوجه التحقيق ، وجوب عرض المتهم بين آخرين على الضابط الفرنسى المجنى عليه ·

واتصلت الشرطة بالمسئولين فى الميناء ، فعلمت بان السفينة اقلعت منذ ساعتين وانها تكاد تقترب من منتصف القناة ، ولما رأى المسئولون اصرار وكيل النيابة على اجراء عملية العرض اتصلوا بالباخرة لاسلكيا وطلبوا اليها ان تنتظر سلطة التحقيق فى عرض القناة ، فاستجابت فى الحال وحددت مكان وقوفها ، وسارع وكيل النيابة فى صحبة رجال الشرطة ومعهم المتهمون وسلكوا طريق البر ودخلوا الى السفينة التى رست على شاطىء القناة واستقبلتهم فى ترحاب ·

واجرت النيابة عملية عرض دقيقة فى صالة الباخرة أذهلت الاجانب من طاقم السفينة الى المسافرين عليها ، كما أثار اعجابهم أن يشتد الحرص بسلطة التحقيق حدا يجعلها تلاحق الادلة تجمعها وتستكملها حتى ولو فى عرض البحار ، تلاحق الدليل مستصحبة كل جهازها حتى المتهم والمشتبه فى امرهم ·

وكانت دهشة وكيل النيابة المشفوعة بارتياحه حين استطاع الضابط الجريح المجنى عليه أن يخرج المتهم ذاته — حليق الشارب — فى التو واللحظة دون جهد ودون عناء وبلاتردد طويل او اضطراب ، أخرجه من صف المعروضين ، مؤكدا أنه المتهم الذى اعتدى عليه ، قائلا ، انه على الرغم من ازالة شنبه اليوم ، فان ملامحه ما زالت محفورة فى وعيه الحافظ مما يجعله يقطع بانه هو ولا احد سواه ·

عادت سلطة التحقيق لاستكمال ما بدأته واخلت سبيل المشتبه فيهم · وابقت ذلك المتهم ومعه «الحلاق» الذى جرده من شنبه خشية أن يكون شريكا له ، ولكن الاخير اكد فى كل مراحل التحقيق أنه لم يتصل بالمتهم الا عند ضبط المشتبه فيهم وقد ساندته تحريات المباحث فاخلى سبيله ، اخلى سبيله بعد أن أكد أن المتهم استعطفه والح عليه فى ان يعاونه فى ازالة شنبه خشية الاشتباه فى امره واقنعه بأنه لا صلة له بالجريمة وأن ازالة الشنب لا صلة لها بهذه الواقعة ، وأمام الحاحه الذى لم يفهم له دافعا حقيقيا اضطر الى معونته ·

وامام تلك الادلة المتتابعة المطردة اعترف المتهم وأرشد عن المسروقات الا القليل التافه ، وقد سلمت الى القنصلية الفرنسية التى بعثت بها الى المجنى عليه ، فارسل هو بدوره خطاب شكر رقيق الى السلطات المسئولة فى بورسعيد ·

اما المتهم فقد أحيل الى محكمة جنايات بورسعيد التى رأت — بحق — وجوب أخذه فى شدة وفى غير رفق ، وقضت بمعاقبته بالاشغال الشاقة عشر سنوات حتى يكون عظة وعبرة ، وحتى لا يمس انسان بسلوكه الفردى المشين سمعة بلاده ·

وقد قيل فيما قيل — تعقيبا وايضاحا — ان هذا الذى حدث عندكم حدث مثله وأكثر منه فى نابلى بايطاليا وفى مرسيليا بفرنسا وفى موانىء كثيرة فى بلاد العالم ·

وقلت تعقيبا ، ان المعصية لا تبرر المعصية ، لاننا أمة نسلك سبيلا جادا حازما تبتغى مثالية وتقويما وتفوقا فى كل مجالات الحياة لتبقى بلادنا جديرة بكيانها القيادى الرائد ·

حول مدرسة الديوان

● بقلم: عبد العزيز الدسوقي ●

نشر الأستاذ عبد الحى دياب فى العدد (٥٣) الثالث والخمسين من مجلة الرسالة مقالا عن «العقاد ومدرسة الديوان» بشر القارىء فى مقدمته بانه محص الحقائق تمحيصا دقيقا «لا يطرقه غرض ولا يعتريه هوى» ووصل الى نتائج خطيرة لم يتوصل اليها كل الذين حاولوا دراسة هذه الجماعة الأدبية، لأن هذه الحقائق التى توصل اليها الباحث «ستقلب حقائقهم التى وصلوا اليها رأسا على عقب» .

وعلى الرغم من هذه اللهجة الخطابية المتعالية التى تسود مقال الاستاذ دياب ، فقد اهتممت بالموضوع اهتماما كبيرا ، لأننى **أولا** .. أحد هؤلاء الذين ستنقلب حقائقهم رأسا على عقب فقد كتبت فصلا عن هذه الجماعة منذ ثمانية أعوام وقد ظهر ضمن كتابى «جماعة ابولو واثرها فى الشعر الحديث» الذى رأى نور الحياة فى خريف عام ١٩٦٠ .

ولأننى ثانيا : أكتب الآن بحثا عن هذه الجماعة بعنوان «جماعة التجديد فى الشعر العربى المعاصر» (العقاد والمازنى وشكرى) وانا أعرف أن الاستاذ الباحث من مريدى المرحوم العقاد وأنه يعيش فى أبحاثه النقدية منذ مدة طويلة ، وقد نوقشت منذ قليل رسالته عن العقاد الناقد ونال بها درجة الماجستير فى الآداب ... لهذا بدأت فى قراءة المقال بكل هذا الاهتمام ، لأحظى باللآلىء التى اكتشفها الأستاذ دياب ابان غوصه فى خضم الأدب المعاصر .

ولكننى لسوء الحظ لم التق فى هذا الموضوع الا ببعض الأصداف ولو كان الاستاذ عبد الحى دياب رجلا متواضعا ، لما جابهته بهذا القول ، فما أكثر ما نقرأ فى الصحف والمجلات من أمثال هذه المقالات السريعة العابرة ... ولكن الأستاذ دياب معتد بعلمه وتعمقه فى البحث الى حد الغرور .

وكان الأجدر بالباحث الفاضل ـ لو كانت عنده حقائق خطيرة !! ـ أن يذكرها مدعمة بالأدلة والأسانيد ثم يتركها هى تفعل فعلها فى دراساتنا المعاصرة ، لا أن يستعرض عضلاته على هذا النحو العقيم .

فما بالك والمقال لا يحوى أية حقائق موضوعية ، ولا يشتمل على أفكار جديدة أصيلة ، وانما هو أشتات من المعلومات تداولتها الأقلام والدراسات .

فالمعركة التى دارت بين العقاد والمازنى من ناحية وشكرى من ناحية أخرى ، معلومة مدروسة ، والبواعث عليها مفصلة فى أبحاث الدارسين ، حتى ما يظن الاستاذ دياب من أنه توصل اليه : وهو تسامح العقاد مع شكرى . ونفى أستاذية شكرى للعقاد والمازنى . وتوقيت المعركة ، كل ذلك معروف . وقد كتب عنه العقاد نفسه فى الهلال والشهر والأخبار . ومجلة المجمع اللغوى . وكتب عنه الدكتور مندور . وكاتب هذه السطور فى كتابه عن جماعة أبولو ... بل لقد فصلت هذه المعارك تفصيلا دقيقا وذكرت الأسباب السياسية التى دفعت اليها ... وجمع صديقنا الاديب الكبير نقولا يوسف فى مقدمة (ديوان شكرى) الكبير المنشور حديثا كل هذه الأقوال ، وأشار الى المجلات والصحف التى نشرت أصداء هذه المعركة وتفصيلاتها وأحب أن أنبه الاستاذ دياب الى مقالات للأستاذ سيد قطب كان يكتبها فى مجلة «الاسبوع» بابى شادى وجماعة أبولو ، ومفندا مسالة أستاذية شكرى للعقاد ، وهى مقالات حادة ثائرة . ولو قرأها الاستاذ دياب ، لما قال انه اكتشف حقائق جديدة فى هذا الشان ولما أكد ـ فى خطابية واستعلاء ـ أنه «يتقرر فى الأذهان أن الواجب واللازم اللازب أن يراجع الدارسون للادب الحديث بصفة عامة ولمدرسة الديوان بصفة خاصة دراساتهم» ثم يهدد الاستاذ الدارسين بانه سيبين زيفهم وعبثهم بالقيم والأخلاق !!

اخطاء

وقد تكون الحقائق التى توصل اليها الأخ دياب لا تزال فى ذهنه .. أو قد تكون فى بحثه الذى لم ينشر بعد ، فلننتظر حتى يظهرها للناس ، ولكن الذى يجب أن نناقش فيه الكاتب ، هو ما جاء فى هذا المقال المنشور فى الرسالة وانا ألاحظ على هذا المقال عدة ملاحظات .

اولا : الكاتب لم يكن موضوعيا فى بحثه بل كان متأثرا بعلاقته بالعقاد ولذلك جاء المقال انطباعات ذاتية تنقصها الدقة وروح البحث العلمى .

ثانيا : دفع هذا التحيز الكاتب الى اتخاذ موقف مسرف من الباحثين فراح الكاتب يسبهم .

وقد انزلق عبد الحى دياب انزلاقا خطيرا ، فراح يتهم المرحوم « عبد الرحمن شكرى » فى رجولته ، بدون داع وروى حديثا خاصا قال انه : دار بينه وبين المرحوم العقاد وهو « أن شكرى كان مصابا بالضيق والسأم نظرا لاصابته بالعجز الجنسى » !!! ولست أدرى ما جدوى هذا القذف فى موضوع بحث الأخ دياب ، وهو لا يدرس الشاعر شكرى من الناحية النفسية أو الطبية ، ولا يدرس شعره .

ثالثا : كاتب المقال يوهمنا أنه باحث عميق له جلد على الدراسات الأدبية ، وكاتب هذا شأنه كان من الواجب أن يطالع النصوص التى يشير اليها بنفسه ، لا أن يسمع عنها من الناس ولو قرأ دياب النصوص لما قال ان مقدمة الجزء الخامس من ديوان شكرى الصادر فى عام ١٩١٦ تحوى « عريضة اتهام للمازنى يعدد فيها مناقبه فى السرقة من الشعر والدراسات » .. وأن شكرى « انطلق فى اتهاماته للمازنى كالاعصار الذى يحطم ما يعترضه » !!! فهذا كلام غير دقيق ولا يكشف عن الواقع .

والحقيقة ان شكرى كتب مقدمة علمية رائعة فى ديوانه « الخطرات » الصادر عام ١٩١٦ فى أربع عشرة صفحة تحدث فيها عن الشعر ومذاهبه وأكد فيها ان الشعر لازم للحياة ، كما ان الاحساس لازم للنفس ، والتفكير لازم للعقل وقال ان الشاعر العبقرى « يمتاز بذلك الشره العقلى الذى يجعله راغبا فى أن يفكر كل فكر ، وأن يحس كل احساس » وعدد مذاهب الشعر المختلفة وتكلم عن فساد ذوق المتاخرين ، وعن الخيال العبقرى ودافع عن الشعر العربى الأصيل وبعد كل هذه الصفحات الجادة الطويلة ، تكلم فى آخر صفحة من المقدمة عن تهمة كانت تثار حول دعاة المذهب الجديد وهى السرقة .. ونفى هذه التهمة عن الشعر الجديد وقال « وروج هذا الرأى طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون فى ظلامها كالخفافيش فى الظلام ... وأهل الحسد والحقد والكذب ومغلقوا الأذهان ممن يكره كل جديد ... وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم » ثم فى السطور الأخيرة اعترف فى شجاعة بان صديقه المازنى أخذ قصيدة « الشاعر المحتضر » المنشورة فى عكاظ من قصيدة « ادونى » للشاعر شلى الانجليزى ، وقصيدة (قبر الشعر) من هينى الألمانى . وقصيدة « فتى فى سباق الموت» من الشاعر «هود» الانجليزى ... وقال ان المازنى كتب مقالة فى مجلة البيان عن تناسخ الارواح وهى منقولة عن الكاتب الانجليزى «ادسون» وبعد أن عدد كل هذا للمازنى قال شكرى صراحة « ولو كنت اعرف أن المازنى تعمد أخذها لقلت : انه خان اصحابه بهذه الاعمال ، ولكنى لاأصدق تعمد أخذها ولو انى رأيت عفريتا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ماعرانى لرؤية هذه الاشياء .. ولا اظن انأحدا يجهل مدحى المازنى وايثارى اياه ، واهدائى الجزء الثالث من ديوانى اليه وصداقتى له ، ولكن كل هذا لايمنع من اظهار ما اظهرت ومعاتبته فى عمله ، لان الشاعر ماخوذ الى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه » .

واعتقد أن هذا النقد الذاتى يمثل نضج « جماعة التجديد» وتطهرهم من العقد والغرور .. ولذلك جاء رد المازنى على هذا النقد شجاعا جريئا ، عندما أخرج ديوانه « الجزء الثانى » فقد اعترف بهذه المآخذ وقال يرد على الجامدين الذين اتهموا كل دعاة المذهب الجديد بالسرقة «لقد كانالانصاف الا يلام غيرى اذا صح ما نسب الى ، ولكن الناس تجاوزونى الى غيرى ، واتهموا سواى قياسا على : وان كنت لم أرم أحدا ممن تقدوا شعرى ، وهذا عنت ظاهر يريك مبلغ الناس ، من الفهم والعدل » ثم قال معترفا بمآخذ شكرى «ولم نعثر على شىء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقة الا ابياتا فى (رفيقة حسناء) وهى (لشلى) والجزء الاخير من قصيدة (أمانى وذكر) وهى «لبيرنز» وقال لو حذف كل هذا الذى أخذ علينا لما انقص ذلك من قيمة شعرنا ، فان فى ديواننا الاول ألف بيت وليس ما أخذ علينا خيرها ، ولئن كان هذا دليلا على شىء ، فهو دليل على صحة الاطلاع

وسرعة النسيان٠٠ ولا يسعنا الا أن نشكر لصديقنا شكري أن نبهنا الى مآخذ شعرنا ٠

فالقضية ـ اذن ـ لاتعدو أن تكون صراعا بين الجديد والقديم ٠٠ وكانت المعركة حينئذ على أشدها وتستخدم فيها كل الاسلحة ، والدرس الذى أعطاه دعاة التجديد فى الشجاعة الادبية ، يستحق التنويه والاشادة ، فاذا جاء عبد الحي فى هذه الايام ليشوه هذا الموقف ، ويتهم عبد الرحمن شكرى بانه شرير وان أساليبه كقطاع للطرق ويرميه بالقصور الجنسى فهذا شيء عجيب غريب ٠

رابعا ـ وشيء محزن يتسم به هـــذا المقال وهو الخطف والقاء الاحكام دون تثبت ٠٠ ثم الافتراء على الحقائق الادبية والتاريخية ، فدياب يقول فى مقاله: ان المازنى لم يهاجم شكرى فى كتاب « الديوان » الا فى الجزء الثانى بعد أن سافر العقاد الى أسوان مريضا ، وترك أصول الكتاب للمازنى ، هنا أضاف المازنى الى صفحات هذا الجزء الثانى فصلا اتهم فيه شكرى بالجنون والخرس والادعاء والبكم والحقد وانه منكود ومائق الى آخره ، وزج بهذا الفصل الى المطبعة ليطبع مع الجزء الثانى الذى تركه له العقاد تحت رقابته ٠

وهذا قول لايمكن أن يقوله كاتب له أدنى صلة بهذه القضية ، فالمعروف المتواتر ان المازنى هـاجم شكرى فى الجزء الاول وفىالجزء الثانى من الديوان فلماذا يلجأ الاستاذ عبد الحى دياب الى هذا ليوهمنا ان المازنى لم يستطع أن يهاجم عبد الرحمن شكرى الا من وراء ظهر العقاد ٠ وهـذا افتراء واضـح٠٠ وواحدة من اثنتين : اما أن يكون الاستاذ دياب عالما بالحقيقة ، ولكنه صورها وبدل فيها ليخدم أغراضه٠

واما أن يكون الاستاذ الباحث جاهلا بهذه الحقيقة لانه لم يقرأ بنفسه كتاب «الديوان» بجزءيه الاول والثانى ٠

واحب أن أؤكد للكاتب أن المازنى رحمه الله هاجم شكرى فى الجزء الاول من (الديوان) الذى صدر عام ١٩٢١ فى فصل كامل بدأ من صفحة ٤٨ وانتهى عند نهاية الجزء الأول صفحة٦٢ أىأكثر من ثلثالكتاب٠ والفصل بعنوان « صنم الألاعيب » ، واتهمه بالجنون والحقد والجهل والادعاء والغرور وقال : أترى هذا المفتون يحسب أنه يستطيع أن يخدع الناس بهذه النظريات التى ينقلها ولا يفهمها ٠

أيقول : وقد جمع صاحبنا الى البكم الذى مثلنا له ضعفا فى الذهن واضطرابا فى جهاز التفكير ٠

ثم يقول : وقد سبق لنا ان نبهنا شكرى الى مائق شعره من دلائل الاضطراب فى جهازه العصبىوأثرنا عليه بالانصراف عن كل تاليف ٠٠ لان جهـــوده عقيمة ٠٠ وتعبه ضائع ٠

أما الجزء الثانى فقد عاود المازنى فيه هجومه على شكرى واتهمه بالجنون ، وانه أعوج الطبع والذهن مقلوب العين ينظر الى الحياة من منظار معكوس يريها الأشياء على غير حقيقتها وعلى غير نسبها وعلاقاتها ٠

وقد حدثنى المرحوم الاستاذ عباس العقـــاد فى حديث نشرته فىمجلة الهدف (فى يونيه)عام ١٩٥٨ عن هذه الجفوة التى حدثت بين المازنى وشكرى ٠٠ وقال لى انه كان يتمنى ألا تحدث ، ولكن المازنى أصر على تحدى شكرى والهجوم عليـــه ٠ وان كان من الانصاف للمازنى أن تذكر انه ندمعلى هذه الخصومة ندما شديدا وكتب فىأكثر من مناسبة يعلن استاذية شكرى وتبحره فى الآداب والفنون ويندم على ماقام به عليه من هجوم ٠٠ ولسنا نظن ان التواضع من المازنى ـالسخرية بالخلود والشـــهرة ـ وهى من لوازمه ـ كانت السبب فى هذا القول ٠٠ فشكرى فعلا وجه المازنى فى الادب والشعر ٠٠ وقد كان المازنى يقول فى دراساته عن شكرى : أما شكرى فشاعر لايصـــعد طرفه الى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه الى أعمق من قلبها ، ويوازن بينه وبين حافظ فيـؤكد : أن حافظا اذا قيس الى شكرى لكالبركة الآجنـة الى جانب البحر العميق الزاخر ٠

والاستاذ ديابفى مقاله يحاول أن ينال منشكرى ويحط من شانه ، ولو درس شعره أو نقده أو لو قرأ شيئا من أبحاثه الجادة ، لما هان عليه أن يقف منه هذا الموقف ٠ وقد يكون تحيز الاستاذ عبد الحى للعقاد هو الذى دفعه الى النيل من شكرى ، وهذا موقف مؤسف كل الاسف ، فالعقاد نفسه على ماكان عليه من اعتداد بنفسه ، واعتزاز بثقافته ، يؤكد فى أكثر من مناسبة استاذية عبد الرحمن شكرى وسعة اطلاعه على الأدب العربى والآداب الأوربية ، ولقد اعترف له بالسبق والتفوق فى أشياء كثيرة يقول : « فلم يسبقه أحد فيما أذكر الى تطبيق البلاغة النفسية ـ السيكولوجية ـ المستمدة من أدب الغرب على ما يقرؤه من شعر الفحول فى اللغة العربية ٠٠

ولعله أول من كتب في لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال • وتصوير الوهم • وهما ملتبسان حتى في موازين بعض النقاد الغربيين •

الى هذا الحد كان يعتز العقاد بالشاعر عبد الرحمن شكرى ويعدد مآثره ، ويفتخر بالكشوف الادبية الحديثة التى أغنى بها اللغة العربية •• بل كان يسلم بأنه كان يسبقه في القراءة الى اشياء لم يكن يلتفت اليها •• يقول : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس واربعين سنة فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية ، وأدب اللغة الانجليزية ، وما يترجم اليها من اللغات الاخرى ، ولا أذكر انني حدثته عن كتاب قرأته الا وجدت منه علما به واحاطة بخير مافيه ، وكان يحدثنا أحيانا عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت اليها ولا سيما كتب القصة والتاريخ • وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة نافذ الفطنة حسن التخيل سريع التمييز بين ألوان الكلام ، فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أرفاها ، لانه يطلع على الكثير ويميز منه مايستحسنه وما يأباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة والصفحات يلقى بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لايتأتى لغيره في الجلسات الطوال ، ولا اعتقد أن المرحوم العقاد قد كرم شخصا واعترف له بالسبق والتفوق عليه مثل ما اعترف لشكرى ، ولعل الاستاذ دياب يوافقنا على ان العقاد لم يقل هذا القول مجاملة لشكرى ، فقد عاش ــ رحمه الله ــ لا يعرف المجاملة على حساب القيم الفكرية والمعايير الادبية .

وقبل أن أختتم هذا الموضوع أحب أن أنفى عن المرحوم عبد الرحمن شكرى عدة تهم حاول الاخ دياب أن يلقى بظلالها عليه •• وهى الحقد والشر وأساليب قطاع الطرق ، ومن معايشتى لأشعار عبد الرحمن شكرى المنشورة في دواوينه السبعة ابتداء من (١٩٠٩) «ضوء الفجر» الى أن مات يرحمه الله ثم كتبه ومقالاته المتعددة ، أشعر انه رجل عذب دمث واسع الثقافة زاهد في المجد والشهرة ، لايحب اللدد ولا الخصومة وانى اطلب في هذا المجال شهادة الاستاذ الكبير على أدهم وكان من تلاميذ المرحوم شكرى بمدرسة رأس التين (عام ١٩١٣-١٩١٤) وقد كتب الاستاذ أدهم مرة عن ذكرياته عن الشاعر قائلا:

وكان الاستاذ شكرى في مجالسه الخاصة محدثا لبقا ، شائق الحديث واسع المعرفة ، نافذ النظرات وكان يزيد حديثه متعة انه كان دائم الاطلاع سريع القراءة قوى الاستيعاب حسن الهضم لما يقرأ ، وكان له على جميع ما يقرأ تعليقات رائعة وتعقيبات نافعة واذا اطمأن الى جليسه واستراح له مضى ينثر ذخائر معرفته ونفائس علمه في تواضع محبب وسخاء جميل • وقد تكون شهادة الاستاذ ادهم نافعة في هذه الايام لهؤلاء الذين ينبشون قبور الموتى ويحصبونهم بالحجارة ويفترون عليهم •

اما تهمة «القصور الجنسى» فلا اعتقد أنها تسىء الى المرحوم شكرى بقدر ما تسىء الى قائلها الاستاذ عبد الحى دياب•• فالرجل ــ رحمه الله كما يحدثنا صديقنا العلامة الاديب الاستاذ نقولا يوسف في المقدمة الجامعة التى كتبها (لديوان شكرى) الذى يجمع كل أشعاره ــ كان قوى الشخصية رصينا سمحا مهذبا لاينطق بكلمة نابية •• وقد ظل عزبا لم يتزوج طوال حياته ، ولم يمارس الرذائل •• شغوفا بالاطفال والازهار والبحر والكتب • فمن أين تعرف هذه الصفة عن رجل بكل تلك الاخلاق ، الا عن طريق الاستنتاج ، وانا اشك في الرواية التى يقول الاستاذ دياب ، انه سمعها من العقاد عن قصور شكرى الجنسى ، لان العقاد كان رجلا منطقيا بالغ الحجة •

وفي الختام أشكر الاستاذ عبد الحى دياب ان اتاح لى بمقاله هذه الفرصة للكشف عن حقائق أدبنا المعاصر والدفاع عن الشاعر الرائد المظلوم عبدالرحمن شكرى الذى أخرج أول ديوان له عام ١٩٠٩ ، ثم قاد النهضة الأدبية والفنية باشعاره الغزيرة الجديدة والذى يمثل مع زميليه العقاد والمازنى «جماعة التجديد في الشعر المعاصر» •

ويرحم الله حافظ ابراهيم الذى قال في شكرى :

أفى العشرين تعجز كل طوق
وترقصنا باحكام القوافى

شهدت بان شعرك لا يجارى
وزكيت الشهادة باعتراق

لقد بايعت ـ قبل الناس ـ شكرى
فمن هذا يكابر بالخلاف

ورحم الله رواد نهضتنا في الشعر المعاصر شكرى والعقاد والمازنى

صلاة في المساء

للشاعر
• محمد عادل سليمان •

يا الهي .. نامت الدنيا على صدر المساء
هدأت .. حتى النجوم البيض فى هذا الفضاء
غير تسبيحى الذى ينساب فجرى الضياء
وبقايا صلوات عبقريات الغناء
وجناحين .. يرفان هنا عبر السماء

يا الهي .. رقصت روحى على همس قريب
فجر النور باعماقى .. دفوقا كاللهيب
شفقيا .. كارتعاش البدر فى ثغر الغروب
ساحر الاضواء .. كالقبلة .. كاللحن الطروب
كابتسام النور .. رفافا على قلبى الحبيب

يا الهي .. انا وحدى بين دنيا صلواتي
وهنا الهداة والنور .. ومحرابى .. وذاتى
وغدير حالم الاجفان فى ظل السبات
وزهور غمرت بالعطر آفاق الحياة
ونخيل ناغم الهمس .. ضحوك الاغنيات

يا الهي .. قد خلقت الكون مزهور الفنون
ذلك الليل .. وصمت الدوح فى النور الحنون
والحقول الخضر .. والجدول فى ظل الغصون
والنخيل الساهم المملاق كالراعى الامين
صورة سحرية .. نامت هنا ملء العيون

يا الهي .. اننى اعرف موسيقى الخلود
اعزف الأنغام نشوى من فمى .. ملء الوجود
وهنا الليل .. واشواقى .. وتسبيحى .. وعودى
حركت أوتاره روحى .. وطارت فى سجودى
اغرقت محرابها بالنور .. والوحى الجديد

يا الهي .. انت وحى النور فى حسي وروحى
تسكب الاشعاع انداء على قلبى الجريح
وهنا دفقة الهامى .. وشعرى .. وطموحى
وهنا الروح تغنى الحب فى الكون الفسيح
وهى نشوى فى طريق النور تجتاح جروحى

يا الهي .. غبت عن دنياى .. عن ذاتي وحسي
ذوبت اضواؤك البيضاء ارضية نفسي
غسلت — حتى دجاها — بالسنا .. من كل رجس
طهرت محراب يومى .. وازالت .. ظل امسي
غمرتنى بيقين غامر .. فى لحن همس



يحرقونه حيا

بقلم : احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

تظهر فوق مسرح البشرية ومضات من النفوس الحارة ، تأبى أن تقعد حبيسة مايحوم حولها من عرفان متراكم موروث ، بل تريد أن تدفع التيار الحضارى دفعا نحو مجرى ثورى جديد ، غيرعابئة بما تصادف من عنت فى مجال الفكر الرجعى الذى يبغى الابقاء على كيانه ، فيجذبها الى الوراء جذبا، بينما تسعى النفوس الأبية الى صهر افكارها فى بواتق من العلم ، لايهمها ما تلاقيه من ويل أو ثبور، ولا تبالى فى جميع الحالات أطار غراب أم تعرض ثعلب .

والحق : ان اسمى مراتب الفكر مادعامته بالعلم شماء .

ولقد شمرت أوروبا عن سواعدها بعد الحروب الصليبية ، تنشد المعرفة والثقافة اللتين امتصتهما من الشرق الاسلامى كجرعات اولى ، فنشأت فى ايطاليا أولى الجامعات فى سالرنو ، يدرس فيهاطب ابقراط ، وجالينوس ، والرازى وابن سينا والزهراوى وابن النفيس ، وابى يعقوب اسحاق الاندلسى المتوفى عام ٩٢٣ م .

وفى بولونيا غدت كلية الحقوق فى جامعتها اشهر الكليات الاوروبية التى تدرس القانون ، وفى جامعة باريس سادت دراسة اللاهوت ، ومن جامعة باريس تفرعت جامعة اكسفورد عام ١١٦٨م ، ومن اكسفورد نبتت جامعة كمبردج عام ١٣٠٩ م .

وفى عام ١٢٥٢ اسس روبرت دى سوربون ، امام لويس التاسع ملك فرنسا ، الكلية الاولى لايواء الطلاب الجامعيين فى باريس ، ولقد عاش دانتى طالبا بها . ومن ناحية اخرى اهتمت الاديرة بجمع المخطوطات العربية الاسلامية لترجمتها ودراستها ومن اشهر هذه الاديرة مونتى كاسينو وبوبيو بايطاليا ، وريخناو وسانت جال بسويسرا ، وكورفيه وفولدا بالمانيا ، وبيك ومونت سان ميشيل بفرنسا ، وجاروز وسانت البانز بانجلترا .

كل هذه المراكز العلمية والثقافية لم تجدامامها من تراث علمى سابق تلتهمه ، غير تراث العلوم الاسلامية ، اننا لن نمل تكرار ذلك حتى يؤمن الذين فى قلوبهم مرض ، ذلك لان علوم الاغريق لم تكن قد تبلورت بعد الا عن طريق التراث الاسلامى، فأخذت تغترف من الينابيع الاسلامية ماشاء لها أن تغترف

وما وافى القرن الرابع عشر حتى انفصل العلم عن اللاهوت ، واصبحت هذه المراكز تتقاسمها فى الطبيعيات فلسفات أربع :

١ - فلسفة ارسطو التى تنكر وجود الاجزاء التى لاتتجزا ، بل تجزم بقبول المادة للتجزئة الى اللانهاية ، كما تجزم بأن المعرفة واسرار الكون موجودة بل كامنة فى العقل كمون النار فى الحجر، وتخرج بالنقاش وقدح الزناد .

٢ - فلسفة ديمقريطس وابيقور التى تنادى بوجود الجوهر الفرد أو الجزء الذى لا يتجزأ .

٣ - فلسفة علماء الكلام ومنهم ابو بكر زكريا الرازى التى تنادى بوجود الجوهر الفرد اوالجزء الذى لا يتجزأ فى المادة والاعراض ، فى شكل مغاير لفلسفة ديمقريطس ، من جهة كون هذه الجواهر تختلف فيما بينها بالاكتناز ، وهذا هو علة اختلاف العناصر ، وكذلك كانت تنادى بان اسرار الكون موجودة وليست كامنة فى العقل البشرى ، وما على الانسان الا أن يبحث ويفكر ليستخلصها .

٤ - الفلسفة الكوبرنيقية التى نادى بها كوبرنيق وهى التى هدمت النظام البطليموسى فى الفلك ، واثبتت ان الشمس هى مركزالكون وليست الارض كما كان يعتقد الاقدمون ، وكانت جامعة بادوا بايطاليا تتزعم هذه الفلسفة على يد جاسندى الذى أثرت أبحاثه فى نيوتن ، وزاباريلا الفيلسوف الذى أثر فى جاليليو فيما بعد .

كانت كل هذه الفلسفات كأفراس تتابعن فى مدى ، ولكن ما لبثت ان توقفت فلسفة ارسطو عن النمو ، فليمت ثم لحقت بهجين من فلسفة ديمقريطس والرازى فى الطبيعيات ، وكوبرنيق فى الفلك ، وما فتئت القشرة العلمية التى تكونت ان اصيبت بحمى فكرية كالتى تصيب الطفل عندما تنمو له الأسنان اللبنية ، وكان على الكنيسة لكى تدافع عن كيانها ، ان تجتز مضاعفات هذه الحمى قبل ان تستشرى فاصدرت حكمها بأن يحرق جيوردانو برونو العالم الايطالى حيا عام ١٦٠٠ م ، فمن هو هذا الضحية ؟

تاريخ جيوردانو برونو .

ولد برونو فى مدينة «نولا» بايطاليا عام ١٥٤٨، وتوفى والداه وهو صغير السن ، فتلقفه أحد الأديرة حيث تلقى الكهنوت ، ودرس اللاهوت وكل ما يتعلق بالعلوم الكنسية التى ترتبط بطائفة الدومينيكان ، وكانت اقوى طوائف الكثلكة ، وعندما نضجت معارفه واتم دراسته عين قسيسا رغم ما كان يحسه من شك وغموض نحو التعاليم التى تلقاها .



جيوردانو برونو
١٥٤٨ - ١٦٠٠

وتاقت نفسه المتحررة الى مزيد من المعرفة ، فعثر ذات يوم على مجلد علاه التراب فى مكتبة الدير الذى كان يعيش فيه ، فوجده مكتوبا باللغة اللاتينية ، ومؤلفه كوبرنيق ، فاكب على دراسته فى الخفاء وبهرته بساطة الكتاب وما احتواه من آراء جديدة متحررة .

همسات كانت تدور خافتة بين العقول المتحررة ، تومض حينا ثم تصمت أحيانا ، ولكن العلم لم يستطع ان يعيش طويلا مكبلا بالاغلال ، فامسى انفعالا ، كلما هبت الريح زاد اشتعالا ، وهذا فى اعتقادى منشأ الأمر مطلقا .

هددته الكنيسة باشد العقاب ان هو استمر فى الجرى وراء هذه الترهات ، واحس بالمصير فهرب من ايطاليا خوفا من اضطهاد الكنيسة له ، ومكث بعيدا عن وطنه مغتربا فى بلاد اوروبا يردد ابحاث كوبرنيق ، متوسعا فى شرحها ، بل زاد عليها بأن اثبت ايضا أن الشمس تدور حول محورها كما تدور الأرض ، وكانت هذه الآراء الجريئة غريبة عن مستوى ذلك العصر .

ثم اثبت وجود كواكب اخرى تدور حول الشمس جديدة لم تكتشف بعد ، وقد تحققت نبوءاته عند ما كشف كوكب اورانوس بعد وفاة برونو بمائتى عام ، ثم اعقب ذلك اكتشاف الكواكب نبتون وبلوتو ، وغيرهما من الكواكب الشمسية الأخرى .

واعلن برونو عن وجود نجوم هى شموس فى تكوينها ، وكل نجم حوله مجموعة من الكواكب تدور حوله مثل المجموعة الشمسية المعروفة ، وان هذه النجوم فى تحول ، وليست ثابتة مما يتعارض مع تعاليم الكنيسة التى تنادى بثبات الكون كما خلقه الله .

وقد امتاز برونو بعقلية جريئة تتخيل الحقائق ، بل تتنبأ بها ، رغم بدائية آلات الرصد التى كان يستخدمها ، وقد اتى بعده الفلكى الكبير «كبلر» وعندما قرأ أبحاث برونو قال : « ان المرء لينتابه الدوار عندما يقرأ ماكتبه هذا العالم الايطالى الذى يتراءى لنا ، وكأنه محلق فى الفضاء اللانهائى ، الذى لا بداية أو نهاية له » .

لم تستطع الكنيسة السكوت على هذه الآراء الثورية ، فقدمت عريضة الاتهام ضده مكونة من مائة وثلاثين بندا ، وحكم عليه بالكفر والالحاد ، ثم الطرد من جميع البلاد التى تتبع كنيسة روما ، فاضطر برونو الى التجوال فى بلاد الله الواسعة محاضرا فى مذهب ديمقريطس والرازى ، معارضا فلسفة ارسطو كنقطة انطلاق أولى تتجمع حولها العلوم الاوربية الجديدة .

وفى عام ١٥٧٩ وصل الى جنيف وكانت معقلا لمذهب كالفن الجديدالذى يعارض الكثلكة ، ولكنه لم يسترح فى هذه المدينة ، فذهب الى تولوز وعمل محاضرا فى الفلسفة ، ثم انتقل الى باريس عام ١٥٨١ وهناك انتج عدة مؤلفات منها الكوميديا التهكمية ، ثم سافر بعد ذلك الى انجلترا فلم ترق له عادات الانجليز وزمالة كلية اكسفورد ، فاخرج فى هذا الشأن مؤلفا هو اجود ما كتبه ، شاملا نقدا للحالة الاجتماعية فى انجلترا ، ثم أعقبه بكتاب آخر تعرض فيه للفلسفة والحكمة والقانون والعدالة ، على نمط المؤلفات الاسلامية ، كما تعرض فى سخرية لاذعة للغموض الذى يصحب بعض المعتقدات الكنسية ، ثم تعرض لأساطير اليهود ووضعها فى مقام أساطير الاغريق .

وفى عام ١٥٨٥ — ١٥٨٦ عاد برونو الى باريس ، ثم ذهب الى وتنبرج المعقل الرئيسى للمصلح البروتستنتى « مارتن لوثر » حيث قام بالقاء عدة محاضرات وتأليف بعض الكتب فى المنطق ، ثم انتقل عام ١٥٨٨ الى براغ ثم هلمستاد ثم فرنكفورت ، وفى هذه البلدة أنتج ثلاثة كتب فى الميتافيزيقا عام ١٥٩٠ .

عاش برونو فى المنفى ، ولكن حنين الوطن كان يعاوده بين الفينة والفينة ، وعرف اعداؤه ذلك فاستغلوه أحسن استغلال ، فادعى « جيوفانى موسينيجو» أحد وجهاء القوم فى البندقية بأنه مولع بكتب برونو وأبحاثه، واتصل ببرونو يطلب التتلمذ على يديه ، ووعده بحمايته والوقوف بجانبه اذا عاد الى أرض الوطن .

سافر برونو الى زيوريخ ومنها الى البندقية ، وبدأ يعطى دروسا لجيوفانى وفى ٢٣ مايو عام ١٥٩٢ قبض عليه غدرا ، وزج فى سجن رهيب ، له سقف من معدن الرصاص ، عندما يتعرض للقيظ يعكس لهيبا وسعيرا ، وعندما يتعرض لبرد الشتاء يجعل برد الحجرة زمهريرا قارصا ، وفى هذا موت بطىء ، وعذاب شديد ، استمر ثمانية اعوام عجاف ، كان يترقب خلالها رجال الكنيسة عدول برونو عن آرائه واعلانه توبته وندمه .

ولكنه كان صلبا عنيدا شديد الاعتزاز بمبادئه، التى انتشرت فى جميع الأوساط العلمية بأوروبا، ولم يزده التعذيب الا ثباتا واصرارا ثم شرحا لبراهين جديدة تؤيد نظرياته ، فحكم عليه بالموت ، وكان منطوق الحكم هكذا :

« ان الكنيسة المقدسة قد حكمت على برونو الملحد بالعقوبة دون أن يبثق دمه ، ومعنى هذا أن يحرق حيا ، وقد كان » . ونفذ الحكم عليه فى احد ميادين روما يوم ١٧ فبراير عام ١٦٠٠ ، وسط مظهر كنسى رهيب ، يتقدمه مئات من القسس يرتلون اللحن الجنائزى ، والأجراس تقرع ، وبرونو يرتدى حلة صفراء مرسوم على جانبها الخلفى صور من الشياطين والأبالسة غرابيب سود ، وفوق رأسه طرطور مخروطى عليه رسم لرجل يحترق فى السعير .

وبينما هو يسير الى ميدان الموت كانت قيوده الحديدية ، المكبلة بها يداه ورجلاه تحدث أصواتا باكية حزينة ، تشكو هذا الظلم المشين الذى لطخ جبين الكنيسة ، وكان يسير خلف القساوسة وجهاء القوم وكبار موظفى البابوية ، والشوارع مكتظة بالجمهور يشاهد هذا المنظر التمثيلى ، وهو لاه عما يحس به برونو من آلام ، ورغم ذلك فقد كان رجال الكنيسة يخشون من برونو أن يتحدث الى الجماهير ليظهر لها الحقيقة .

ثم قيد فى عمود خشبى ، وطلب منه الندم واعلان توبته ، غير انه رفض بشدة ، فاشعلت النيران تحت قدميه حتى أتت عليه .

وهكذا اعتقدت الكنيسة انها قد استراحت من عذابها الفكرى بالخلاص بالموت : موت برونو الفعلى وموتها الأدبى وفى هذا تحقيق لعقيدة يوحنا اللاهوتى ، حسب ما قرره المقال المنشور بملحق جريدة الاهرام يوم ١٩٦٤/٨/٧ ، حرقته الكنيسة حيا ، ولكنها لم تستطع ان تحرق الفكر العلمى الذى انتشر كالنار فى الهشيم ، ولم يستطع الموت ان يخلصها من ثورات فكرية متعاقبة اشد قوة ، ذلك لأن رنين التعذيب قد ألف بين العقول المتحررة، فجعلها تقف صفا صفا، وكلما مات جندى فى ميدان العلم حل محله مئات من جنود آخرين ، يحملون المشعل وضاحا فى جبين الدهر والسرمد :

ولكن !!

هل كان لمثل هذا التعذيب نظير فى الحضارة الاسلامية فى اى عهد من عهودها ؟ لقد انتشرت الفرق الاسلامية المتنابذة من خوارج واباضية وكيسانية وشيعية وغيرها ، ولكنها كانت تسير فى تعايش سلمى جنبا الى جنب مع مذهب اهل السنة الذى كان يحكم من دار الخلافة ، ولم يحدث تقييد لحرية الفكر الا لأسباب شخصية أو سياسية ، فمثلا كان ابو حنيفة اماما فى الفقه ، فطلب منه الخليفة العباسى فتوى خاصة فرفض فأمر بجلده ، فلم يزده الأمر الا اصرارا واعتزازا ، فاعاد الأمر بجلده وهو الشيخ الهرم فى السبعين من عمره حتى مات تاركا الملايين يعتنقون مذهبه ، كان هذا التعذيب لأسباب شخصية ، وكذلك الحال فى محنة القرآن مع الامام ابن حنبل وابن رشد بالاندلس .

وثمة مثال آخر هو مسألة الأمر باحراق كتب الأوائل التى كان يملكها عبد السلام بن عبدالوهاب الملقب بركن الدين (المتوفى عام ٦١١ هـ) حفيد المتصوف الكبير الحنبلى « عبد القادر الجيلانى » لأنها كانت تشتمل على الحادثات، وكانت محاكمته عملا من اعمال الانتقام الذى قام به الوزير ابن يونس ، لأن ابن يونس كان جارا لأولاد الشيخ عبد القادر فى حال فقره ، فكانوا يؤذونه غاية الأذى

وقد حكم على عبد السلام بانه فاسق لأنه يقتنى كتب الفلاسفة ، ورسائل اخوان الصفا ، وكتبا فى السحر والنارنجيات ، مما عنيت به الافلاطونية المحدثة الشرقية ، وزج فى السجن ، واخرجت مدرسة عبد القادر من يده ، واسندت الى ابن الجوزى ، ولما سقط الوزير ابن يونس من الحكم ردت اليه المدرسة التى انتزعت من يده من قبل ، كما رد اليه اعتباره

ليست الحضارة الاسلامية اذن حضارة حصى ورمال ، ولكنها حضارة مبادىء ورجال ، رجال آمنوا بربهم فزدناهم هدى ، رجال اذهلوا الدنيا وبهروا التاريخ ، ذلك لأنهم مشوا فوق رءوس الحقب ! !



ماذا استفدناه من

مهرجان التليفزيون

بقلم عبد الفتاح البارودى

أنا اتهم الفنانين ـ كل الفنانين ـ بالعجز عن ادرك المغزى الحقيقى لمهرجان التلفزيون ... ولو انهم أدركوا مغزاه لتطور انتاجهم الفنى فى مختلف الفنون كما تطور المهرجان نفسه ، وكما تطور التليفزيون الذى أقام هذا المهرجان ، والذى احتضن هذه الفنون ، لقد نجح المهرجان كفكرة ، ونجح التليفزيون كجهاز فنى ، ولكن ما الرأى فى انتاجنا الفنى ؟! هل حققت برامجنا واغانينا وتمثيلياتنا نفس النجاح ؟! أبدا ... لماذا ؟

ان الدليل على نجاح المهرجان كفكرة أنه تطور خلال الثلاث سنوات التى أقيم فيهما فى بلادنا تطورات ملحوظة جدا ... فالمهرجان الاول كان **(بداية لصورة من صور التعاون الدولى والتفاهم بين الشعوب ، واقامة علاقة مستمرة بين محطات التليفزيون العالمية)** ... والمهرجان الثانى كان **(اقامة لجسر حى من الصداقة ساهمت الفنون كلها فى اقامته ، وفى مقدمتها فن التليفزيون الذى تلتقى عنده بقية الفنون ، والذى اصبح من مميزات العصر الذى نعيش فيه ، فكما يقال ان العالم يعيش الآن فى عصر الفضاء ، وعصر الذرة ، يقال أيضا انه يعيش فى عصر التليفزيون)** ... اى أن الفكرة تطورت من بداية لمعرفة الفن التليفزيونى ، الى معرفة لقيم هذا الفن ... اما فى المهرجان الثالث الذى أقيم منذ أيام ، فقد تطورت الفكرة الى وضع منهج لهذه المعرفة ، ومن أجل ذلك تحول الى مهرجان للدراسة والبحوث الفنية .

كذلك نجح التليفزيون العربى كجهاز ، والدليل على ذلك أنه نال الثقة الشعبية والثقة العالمية ، ويكفى أن الناس يتهافتون على اقتناء الاجهزة ويتزاحمون حول الاجهزة الموضوعة فى الميادين والشوارع ، ويكفى أن الخبراء العالميين وصفوه بأنه حقق معجزة .

ولكن ماذا فعله الفنانون ؟ ماذا فعله المؤلفون والملحنون والموسيقيون ؟! فشلوا فى متابعة هذه التطورات ، والدليل على ذلك أن انتاجهم الآن يكاد يكون مشابها لانتاجهم قبل اقامة اول مهرجان .. لا أنكر أن بعضهم يبذل جهده للمشاركة فى الانتاج التليفزيونى ، ولكن لا يزال ينقص معظم فنانينا ادراك أسرار الفن التليفزيونى ومواضعاته ، ولهذا لم تخلق للآن الاغنية التليفزيونية ، والتمثيلية التليفزيونية والتابلوهات التليفزيونية بالمعنى الحقيقى .

كيف نعالج هذا النقص ؟ كيف نخلق هذه الفنون ؟ بالدراسة طبعا .. ولكن الفنانين لايحاولون الدراسة .

ان المهرجان الأخير كان ـ ولايزال ـ فرصة ضخمة للدراسة ، باعتبار أنه أول مهرجان وضعت الدراسات والبحوث فى مقدمة عناصره الرئيسية ، ولكن فنانينا لم ينتهزوا هذه الفرصة .. ولو كانوا يهتمون بالدراسة لظهر ذلك منذ أن أقيم المهرجان الاول عام ١٩٦٢ أو فى المهرجان الثانى الذى أقيم

فى العام الماضى ٠٠٠ لقد اشتركت فى المهرجانين برامج ممتازة ، وحضر فيهما خبراء عالميون ، وكان من الممكن أن يستفيد فنانونا من ذلك كله ٠٠٠ كان من الممكن أن يستفيدوا من الخبرات التى تلاقت فيهما ، وأن يناقشوا البرامج التى عرضت فيهما ، وخاصة أنها كانت تمثل اتجاهات وتيارات فنية مختلفة ، تبعا لاختلاف الدول واختلاف مذاهب الفنانين وأساليبهم فى التناول الفنى ، ولكن مضى المهرجان الاول ثم الثانى دون أن تلمس أثرهما فى فنانينا ، فهل سيمضى كذلك المهرجان الثالث ؟! فعلا سيمضى كذلك اذا لم يدرك فنانونا أن المهرجانات العالمية هى أعياد فنية تتصاهر فيها الخبرات العالمية، وتستعرض فيها أحدث الآراء والنظريات الفنية ، وتتشابك فيها وجهات النظر بأعمق مايكون التشابك الفنى ٠

الغريب أن فنانينا رغم ضعف اهتماماتهم الثقافية يوهموننا فى كل مهرجان بانهم يريدون أن يتثقفوا وان يستفيدوا من الخبرات العالمية فى رفع مستوى انتاجهم الفنى ٠٠٠ بل اننا منذ المهرجان الاول نسمع صيحاتهم التى يطلبون فيها اقامة ندوات فنية لدراسة البرامج ، وفعلا كان من الملاحظات التى وجهت للتليفزيون عدم اقامة ندوات فى المهرجان الاول ، وفعلا أقام التليفزيون فى المهرجان الثانى ندوات متتابعة عرض فيها كل البرامج التى اشتركت فيه ، سواء فى ذلك البرامج الفائزة وغير الفائزة ، فماذا حدث ؟ لم يحضر أى فنان هذه الندوات التى استمرت حوالى شهرين فى معهد التليفزيون ٠

أكثر من ذلك أنه فى المهرجان الاخير أعلن التليفزيون أنه يرحب بحضور الفنانين والجمهور لمشاهدة برامج الدول المشتركة فى المهرجان خلال عرضها على لجان التحكيم ، وحضر عدد كبير من الجمهور ، ولكن لم يحضر أى فنان ، بل لم يحضر الفنانون الذين يقدمون انتاجهم للتليفزيون ، سواء الذين يؤلفون له التمثيليات والذين يكتبون الاغانى أو يلحنونها ٠٠٠ لماذا ؟ لان الوعى الفنى ينمو بين الجمهور أكثر مما ينمو بين الفنانين ٠٠٠ صحيح أن الفنانين جزء من الجمهور ، والوعى ينمو فى المجتمع كله ، ولكن الفنانين ـ أو معظمهم ـ تجمدوا فى المرحلة الارتجالية التى عاشوا فيها ، أو عاش فيها تفكيرهم الفنى ، أو عاشت فيها رواسب من الانتاج الفنى فى الماضى ٠٠٠ والا فلماذا لا يريدون أن يتثقفوا ؟!

ان التليفزيون كجهاز شعبى متفاعل مع المجتمع واحتياجاته الثقافية قد تطور بالمهرجان من مهرجان لاستعراضات النجوم الى مهرجان ثقافى ٠٠٠ والمجتمع برهن على اهتماماته الثقافية سواء فى نقد البرامج الضعيفة المستوى ، أو فى الاجماع على تفضيل البرامج الفنية ذات المستوى الثقافى كما ثبت ذلك من الاحصائيات التى قام بها مركز البحوث ، ولكن أين دور الفنانين والمشتغلين بالفن ؟!

لو أنهم حضروا الندوات وشاهدوا برامج المهرجانات لادركوا أن التليفزيون علم يحتاج الى دراسات ، والدراسات تحتاج الى مراجع ، ولطالبوا بترجمة أكبر عدد من هذه المراجع ، ولأدركوا أيضا أن التليفزيون فن يحتاج الى ممارسة واعية ، وهذه الممارسة تحتاج الى توجيهات أكاديمية ، ولطالبوا باقامة ندوات ودراسات متواصلة وليس بمناسبة عقد المهرجانات فقط ٠

لو أن لفنانينا اهتمامات ثقافية لاستفادوا من برامج المهرجان دروسا تعلمهم أن أبعاد وأعماق شاشة التليفزيون تحتم تكييف الانتاج الفنى بما يتلاءم معها سواء فى التمثيليات أو التابلوهات أو سائر البرامج ٠٠ وتعلمهم أن الاغانى ليست مجرد (رص) ألفاظ يؤلفها ويلحنها أنصاف المثقفين ، ويغنيها مطربون يتسمرون على شاشة التليفزيون كأنهم تماثيل٠٠ وتعلمهم أن للكاميرات التليفزيونية « رؤية خاصة » ، وأن التكنيك فى التليفزيون يختلف عن تكنيك المسرح أو السينما أو أى فن آخر ٠

هذه بديهيات ، ولكن معظم المشتغلين بالفن عندنا يجهلونها أو يجهلون وسائل تنفيذها ، ولو أنهم اهتموا بمشاهدة برامج المهرجان لوجدوا فيها التطبيق العملى الذى يساعدهم على معرفتها ٠٠٠ ان كل الفنانين العالميين الدارسين مهما تكن درجة ثقافتهم أو امتيازهم يستفيدون من المهرجانات الفنية ويجدون فيها فرصة لمعرفة التجارب الفنية الجديدة ومناقشتها ، ولهذا تسفر المهرجانات عن ظهور نظريات وتيارات فنية تفيد الفن فى العالم كله ٠

ومن الممكن ، بل من اللازم ، أن يحدث هذا عندنا أيضا ، ولا يهمنا تكاسل فنانينا أو تخلفهم ٠٠٠ ان مهرجاناتنا التليفزيونية أصبحت ذات سمعة عالمية أثارت اهتمام خبراء التليفزيون فى العالم وأخرجت التليفزيون العربى الى النطاق العالمى ، وهذا كله يلقى علينا مسئولية ضخمة لتطوير الفن التليفزيونى كأداة لخدمة المجتمع والبشرية والحرية والسلام العالمى

بالانتاج الفني المتطور في الحقل الفني كله ··· واذن فلكي يواجه التليفزيون العربي مسئولياته لا يكفي مجرد تحويل المهرجان الى مهرجان ثقافي ، فالاهم هو أن يباشر التزاماته الثقافية بتجنيد كل اجهزته وبرامجه للاستفادة من البرامج العالمية التي اشتركت في هذا المهرجان ·· ولا يكفي مجرد اعداد والقاء البحوث الفنية ، فالاهم هو وضع تخطيط عملي للاستفادة بهذه البحوث ·· ولا يكفي طبع البرامج في نشرات ، فالاهم هو تقييم هذه البرامج ·

والوسائل العملية لتحقيق ذلك كثيرة ··· وليبدأ التليفزيون بنفسه ··· ليبدأ ببرامجه ·· ان التغيير الجوهري الذي حدث في المهرجان يجب أن ينعكس أثره في البرامج نفسها ··· ان اعتبار الدراسات عنصرا رئيسيا في هذا المهرجان ليس مجرد تغيير شكلي في أسلوب المهرجانات ، بل انه دليل على أن التخطيط التليفزيوني يتطور بمنهج علمي ، ولهذا يجب أن يزداد احساس العاملين في التليفزيون بمسئوليتهم عن تطوير برامجهم بالدراسة أيضا وأولا ··· ولا جدال في أن النظرة الى البرامج نظرة مقارنة تؤكد أنهم ازدادوا خبرة ، هي بصفة عامة اكبر من فترة الاربع سنوات التي دخل فيها التليفزيون حياتنا ، ولكن بعض البرامج لاتزال تعاني ضعف المستوى أو تعاني أخطاء كثيرة ··· وطبيعي أن يحدث ذلك في فن معقد وصعب ويحتاج الى خبرات ضخمة ومتعددة ، ولم تزد فترة ممارسته على أربع سنوات ، ولكن هذا كله لا يبرر استمرار الاخطاء أو ضعف المستوى ··· ان التليفزيونيين يعرفون ذلك ويحاولون فعلا تصحيح اخطائهم ، بدليل أنهم يغيرون برامجهم دورة بعد دورة ، ولكن لا يكفي – مثلا – الغاء البرامج الضعيفة ووضع برامج متجددة بدلا منها ، والمهم الاهم هو بحث الاسباب الحقيقية للاخطاء وضعف المستوى ، ليتم التغيير على أسس مدروسة ··· وربما يكون من أهم العوامل التي ترشدهم الى هذه الاسباب أن يبحثوا برامج المهرجان بحثا مقارنا ·

ان من واجب المشرفين على القنوات الثلاث في جهازنا التليفزيوني أن يدرسوا مع العاملين معهم برامج هذا المهرجان ومقارنتها ببرامجهم للاستفادة من تجارب المحطات التليفزيونية العالمية المتقدمة فنيا ··· ويجب أن يظهر أثر هذه الدراسة في برامجهم المستقبلة ·

ولكي تتحقق هذه الاستفادة يجب أن يضع التليفزيون لهذه الدراسة تخطيطا عمليا ··· ولكي نضمن اشتراك العاملين في التليفزيون في تنفيذ هذا التخطيط يطلب من كل منهم اعداد تقارير موضوعية عن رأيهم في برامج المهرجان ، بشرط أن يبحثها كل منهم من ناحية اختصاصه أولا ··· فالمخرج مثلا يكتب تقريره عن الاخراج ويقارن بين أساليب المخرجين ··· والمصور يكتب عن التصوير، والسيناريست عن السيناريو ··· الخ ·

ومن اللازم – بالبداهة – عرض برامج المهرجان بصفة دورية على شاشة التليفزيون وفي ندوات علنية لمناقشتها ، ويشترك في هذه الندوات الدارسون والجمهور ·

ولتركيز المناقشات تركيزا مفيدا يمكن تقسيمها تقسيما فنيا ، ويدعى اليها الفنانون للاشتراك في ابداء الآراء في نواحي تخصصهم ··· فالموسيقيون – مثلا – يناقشون النواحي الموسيقية ، وكيفية الاستفادة من الاعمال الموسيقية التي يشاهدونها في تطوير موسيقانا ··· والادباء يناقشون النصوص وكيفية الاستفادة بها ·· ومؤلفو الاغاني يناقشون المؤلفات الغنائية ·· ومؤلفو التمثيليات يناقشون أساليب الكتابة في فن التمثيلية التلفزيونية ··· وفنانو الاستعراضات يناقشون الفنون الاستعراضية وهكذا نضمن التركيز المفيد ونتحاشى **((الدردشة))** التي نلاحظها في معظم ندوات المناقشة ·

كذلك بنفس التخطيط تناقش البحوث التي قدمت في المهرجان ، باعتبار أن هذه البحوث أعمال مدروسة تبلورت فيها آراء الخبراء في مختلف المحطات التليفزيونية ·

وايضا بنفس التخطيط تناقش قرارات لجان التحكيم ··· والمفروض أن مثل هذه اللجان لاتصدر قرارات كيفما اتفق ، بل تتوخى الدقة والاحتكام الى المقاييس الفنية ، ولهذا يجب عدم الاقتصار على مناقشة القرارات ، بل أيضا تناقش المبررات الفنية لهذه القرارات ·

بهذا كله نحقق المغزى الضخم الذي قصد من تحويل المهرجان الى مهرجان ثقافي ، والا فما الداعي لهذا التحويل الثقافي ؟!

حول الأدب في أسبوع



يقدمه عبده بدوى

الغليان

مما لا شك فيه ان أية نظرة الآن في الوسط الادبي تؤكد أنه في حالة غليان ، ومما لا شك فيه كذلك أن هذا الغليان دليل على الازدهار الادبي ، وانه في الوقت نفسه ثمرة جديدة وذكية لما يدور في العالم العربي ، فالانسان العربي الآن يعدو ليرى الكثير مما فاته ، والانسان العربي لا يسير «بسرعة واحدة» وانما «بسرعتين» ومع أنه معرض للتشويش الصوتي والنفسي الا أنه لا يستطيع أن يتوقف .. لا يستطيع أن يلتقط انفاسا «مادام في حلبة السباق» فدوره الآن أن يجرى .. أن يجرى فقط !

انى أتذكر مواطنة كينية ذكرت أن الاحداث في افريقية تعدو بسرعة ، الى حد أن التقاط اية صورة لابد أن يأتي مهتزا لحركة العدو السريع المذهل ، وهذا مايحسه المشاهد في الحقل الادبي ، ففي داخل هذا الحقل افكار تتصارع ، وادباء يأخذ بعضهم بخناق بعض ، وفيه كذلك الكلمة الغذاء .. والكلمة الفاكهة .. والكلمة السم !

وما لم يكن القارىء فطنا ذكيا ، فانه لا بد ان يغرر به في هذه الفترة من الزمن ، فقد مضى عهد الثقة « بالكلمة » ، بل لقد اصبحت الكلمة مما يحارب بها الآن القارىء على المستويات السياسية والاجتماعية والادبية ، ومضى العهد الذى كنا فيه في القرية نعتبر الورقة « **كالنعمة** » ، فاذا وجدنا ورقة ملقاة أسرعنا اليها بأصابع متهيبة ، ثم غمسنا بها عيوننا ، ثم أودعناها بجوار الحائط حتى لاتدوسها قدم بالضغط .. أو عين بعدم القراءة !

ولعل هذا مما يصعب العملية على القارىء ، بل ما يحمله على أن يكون مناضلا ، فلا يستسلم لكل ما يمر بحدقتيه ، لانه لابد له من الدخول في عملية الصراع مع ما يقرأ ، وكما أن هذا يمكن أن يحول القراءة الى عملية تعذيب ، فانه يمكن ان يحول القراءة الى عملية خلق جديد .. بل الى عملية انتصار جديد على كل ماهو مزيف واجوف ومشبوه.

ان الانسان الجديد ليس هو الانسان المستأنس المتقبل لكل ما يقرأ ، وانما هو الانسان الذى لايكف عن الصراع ، والدفاع عن نفسه ، أمام الكثير من الافكار ووجهات النظر التى تتسلل اليه في كل وجه من وجوه الاشكال الادبية .

ونظرة واحدة الى ما نقرأ تعطينا الدليل على ما نقول ، والآن يمكننا أن نطرح هذا السؤال «**ماهي الافكار التى توجد الآن في الحقل الادبى ؟** »

واذا أردنا أن نجيب على هذا السؤال فلابد أن نحدق في وجهين يطلان علينا فيما نقرأ .

اما الوجه الاول.. فهو هذا الوجه الهادىء المتأمل الذى سكنت الحياة في ملامحه ، والذى أحس بنوع من انسجامه مع الحياة : فمضى يفكر ويتثاءب ويكتب ويتمطى في وقت واحد ، دون أن يعير الضجة التى حوله اهتماما ، ولعل أوضح ما يقال فيه أنه وجه فقد الحماس ، وأنه كما اطمأن على ماضيه اطمأن على مستقبله ، وهذا الوجه لا يعتبر غريبا عليك ، وليس من الضرورى ان يكون ممتلئا بالتجاعيد ، أو محتلا لمقاعد اللجان ، لانه يمكن أن تراه في نضارة العمر ، وشيخوخة الفكر : فالحياة عنده ليست معركة

مستمرة ، ولكنها قد تكون المعركة ثم السلام ، أو قد تكون السلام الهادىء المرفرف الأبدي .

اما الوجه الثاني .. فهو الوجه المنفعل المتوتر ، الذى لا يهمه الا أن يتركك ، ويهز الارض من تحت قدميك ، ويحول لك الحياة الى مجموعة من «المشاريع» لامجموعة من «المسلمات» واذا كان الوجه الاول تغيم ملامحه فى بعض الاوقات ، فان هذا الوجه يشرع دائما ملامحه ولايكف عن التحديق فى أعماقك، وكما أن هذا الوجه يملك «الحماس الشريف» الذى يجعلك على احساس واع بالمعاصرة ، ويجعلك قادرا على التخلص من لحظات الضعف ، الى لحظات السمو، فانه قد يملك أحيانا ، الحماس المشبوه ، وبخاصة حين لا يصدر عن نفسه ، وانما عن عملية «البيع» التى تتم بينه وبين مؤسسة أو سفارة أو دار نشر أو عدد لا يختلف اثنان على عداوته .

والآن نعود الى تكرار السؤال « **ما هى الأفكار التى توجد الآن فى الحقل الادبى** » والاجابة ليست من الصعوبة فى شىء ، لانك تستطيع أن تهتدى الى الابحاث والاعمال الادبية العميقة التى تخرج بعد معاناة ، والابحاث والاعمال الادبية الضحلة التى لا تخرج عن كونها شد خيط من « بكرة » صغيرة أو كبيرة ، وبالاضافة الى هذا تجد صوتا نحيفا يحرس القيم الحضارية المتوارثة يتكلم وهو خائف، ويصمت حين يجد الضجة تعلو من حوله ، فاذا عاد الى الكلام وجد تناقص العدد الذى كان يستمع اليه ، ذلك لانه لايملك الشجاعة المقتحمة ، ولأنه يؤثر السلامة، ثم أخيرا لأنه فقد الحماس !

ومع أن ما يصدر عن الوجه الثانى يبدو من الصعب تمييز لؤلؤه عن أصدافه الا أن القارىء لا يعدم وسيلة للتفريق بينها . فالماس هو الماس والفحم هو الفحم ، ان هناك من يقسوا علينا لنتحرك ولنأخذ وضعا جديدا ، وهناك من يقسوا علينا بالقتل ودس السم بكميات كثيرة أو قليلة .

ففى الحقل الادبى الآن .. دعوة الى التشكيك فى ميراثنا الدينى والاخلاقى والقومى ، وتركيز على القول بانحطاط العرب واعتبار حضارتهم حضارة رمال ، وتشجيع للرفض لجوهر الدين والاله والاخلاق والقومية العربية ، واصرار على أن التاريخ العربى منسوج من مسك العوانس والارامل والعائدات من الحج ومن التبرك بحذاء الولاة ، ومن السيف الذى لا يكف عن شق البشر الى شطرين ، والرجل الذى يتعرف على أمه وزوجته تحت عباءة رجل غريب عنهما ، ومن العذاب الذى لا يقف عند الحى وانما يتعداه الى الميت ، ومن أحمد أبو الفوارس، وكافور أبو المسك ، وتيموز لنك .. وهناك من يدين شعارات القومية العربية وينادى بشعار آخر من خلال مسرحية الراهب ، ومن يهلل للانفصال ويبكى عند الوحدة .

وفى الحقل الادبى .. من يردد قول المستشرقين بان القرآن خلاصة تركيبية للأديان السابقة ، وأن الاسلام اصاب المنطقة العربية بالعقم لأنه دين صحراوى اقليمى ، ومن يعترف بالتراث العربى الجاهلى وبالتراث المسيحى فى المنطقة ولا يعترف بتراث الاسلام ، ومن يحمل على الفترة الاسلامية باسم الفرعونية ، أو باسم القبطية فى ظل الامبراطورية الرومانية ، أو بالفينيقية ، ومن يفسر كل عمل أدبى على أساس أنه مستوحى من الانجيل، ومن لا يعترف فى الشعر المعاصر الا بايديولوجية يوسف الخال المسيحية ، ومن لا يقبل عملا أدبيا الا اذا كان مستوحى من الافكار المسيحية .

وفى الحقل الادبى .. محاولات لسرقة الكتاب وامتصاصهم لصالح مجلات مشبوهة فى بيروت ، وقد كان هو بعض هؤلاء الكتاب من الهلامية بحيث أصبحوا خناجر ملتوية تطعن بها حركة المد العربى، وأصبحوا يقدمون « البضاعة » بكامل المواصفات ، دون أن يهتز لهم قلم أو ضمير .

وفى الحقل الادبى .. محاولات لخلق الامارات ، وقتل لبعض المواهب ، ومن يذبحك ثم يقول والدم على يديه « أنت تستعدى على السلطات » ، ومن يبيع « الكلمة الواحدة » لليمين واليسار ويقبض عليها أكثر من أجر ، ومن يحس أنه مهدد وأنه « سينقد نقدا قاتلا » فى يوم من الايام لانه تكلم عن العقاد بانعطاف ، أو لانه لم يصرخ تحت الشعار الذى رفع أكثر من مرة وآخرها فى مجلة « أدب » بلبنان والذى يقول « لو كان شىء يشرف هذا الجيل فهو تلمذته لسلامة موسى » .

وفى الحقل الادبى .. أشياء كثيرة وكثيرة لعلنا نعود اليها مرة ثانية لا لنعرض بانسان ، ولا لننصر تيارا على تيار ، ولا لنزيد من حصيلة الخصوم ، ولكن فقط لاهمس فى قلبك أيها القارىء الصديق ـ ان مهمتك اليوم أصبحت شاقة ، وان الثقافة ليست التسليم ولكن الاقتحام . وان القراءة ليست التسلية

ولكن العذاب ، فالقول بصداقة الكاتب قد أصبح شيئا غير مأمون العواقب ، ذلك لان المطلوب منك أن تكون صديق نفسك أولا ، وأن تأخذ الاشياء بروح الحب والنقد معا ، والا اصبحت غير جدير بالحرية والاختيار اللذين هما من حقك فى هذا العصر .

ان للكاتب .. أى كاتب ان يقول كلمته بكل حرية ، وليس لاحد ان يقول له « لماذا قلت هذا » مهما كان هذا الشيء قاسيا ووحشيا وبغيضا ، لان « المستهلك » هو صاحب الكلمة الاخيرة فى السلعة التى تقدم له . واذا كان كل منا لاينسى الحرص وهو يقلب بين يديه سلعة مادية ، فان عليه الآن أن يحرص مرتين وهو يلتهم بعينيه وفكره « سلعة فكرية » .

انى ساعرف من سيقول بعد قراءة هذه الكلمات « أنت تعتدى على القراء » ولكن ماحيلتى وقد رأيته عقب كل حقيقة توجه اليه يتشنج ثم يقول « هذا استعداء للسلطات » وهو لا يعنى بهذه الكلمة الا ان تكون ستارا كثيفا من الدخان يمكن من ورائه الدس ، والتخريب ، والقتل بالسم البطيء ، والتهام الخرشوفة ورقة ورقة ، ثم أخيرا صرف أى معركة جادة الى روافد صغيرة تنتهى ثم تموت .

ومهما يكن من شيء فما قصدت بهذه الكلمة الا عقل القارىء وقلبه ، والذى أؤكده هنا ـ واكدته من قبل ـ انى أومن بحرية الكاتب كأعمق ماتكون الحرية ، ولكن الشيء الذى أردته هنا هو حرية القارىء كذلك لان فيما يقدم اليه الآن :

الكلمة الغذاء

والكلمة الفاكهة

والكلمة السم

كلمة صغيرة :

فى المقال القيم المنشور بهذا العدد للأستاذ محمود الشرقاوى ذكر جزء من قولى فى تبرير انتشار المواقف والرموز المسيحية فى الشعر المعاصر وبخاصة الشعر الحر ، وهذا الجزء هو «واما ان القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه » ولما كنت اخشى ان يقف عنده القارىء ، فانى احب ان اوضح انى ارجعت الظاهرة الى اربعة اسباب هى :

● **وقوع بعض الشعراء تحت تأثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء**

● **التأثر بالمناخ الشعرى السائد فى لبنان**

● **الاعتقاد بان القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى التقليدى ، ومن هنا كانت المبالغة فى الجانب الآخر**

● **مبالغة القوامين على الدين الاسلامى فى التحفظ على مثالياته ورموزه**

واذا كان الأستاذ محمود الشرقاوى يوافقنى والدكتور النويهى فيما يمكن تسميته بالفقه السنى ، فانى أحب ان اوضح هنا أن التجربة الشعرية حين تمتلىء بها نفس الشاعر لا يمكن ان تصل الى حد ادراك أن هذا من الفقه السنى ، او من غير الفقه السنى ، ولا يمكن ان يحجر على حرية الشاعر بان هذا مباح وهذا غير مباح ، وان الموقف والرمز الدينيين لن يكون كل منهما شعرا ما لم تتغير وظيفتهما ، ويوضعان فى علاقات جديدة لا تمت الى الموقف الأول الا بالاسم ، أو احداث نوع من الثراء للتجربة الشعرية ، ولهذا تعمق التجربة كلما كانت احتكاكا بالجوهر الالهى وتخفت كلما كانت صلاة وصياما ، وصلبا ورفعا وجلجثة وهجرة

ومهما يكن من شيء فانى لا اريد ان اظلم رجال الدين المعاصرين الذين هم بلا شك أرحب عقلا من رجال الدين فى الماضى ، ذلك لأننا ندينهم بغير دليل ، والا فأين الشاعر المسلم الذى نسج فى تجربته المواقف والرموز الاسلامية ، والذى اعطاها تفسيرا جديدا ثم وقف رجال الدين يطاردونه ، اما انا فلا اتذكر فى الشعر الحديث ان رجال الدين قد منعوا شاعرا عن ان يحط على بساتين القرآن ، أو طاردوا منقارا حاول ان يأكل من حديقة الرسول ، او نتفوا ريش عصفور لجأ الى الحديقة العريقة للتراث .

ومن هنا فالذى أدعو اليه هو كسر جدار « الخوف القديم » بل ان الاسلام نفسه لا ينصب احدا لحراسته ، لانه ملك لكل انسان يأخذ نفسه به. الاسلام ملك للشعراء كما هو ملك لرجال الدين ، واعتقد انه ليس من الحق فى شيء ان اقف بعيدا عن بعض « الجوانب الشعرية » خائفا مترددا ثم القى تبعة الخوف على الآخرين ، او ان استمع الى

بعض « صيادي الطيور » لم اتبعه لأن صوته حنون ، بينما توجد حديقة اخرى في نفسي ومن حولي ، ويمنعني الوهم من أرسم بما فيها من خضرة ، واغني بما فيها من نضارة !

بل اني اذهب الى القول ان شعرنا لن يكون له مذاق خاص ، مادمنا نخاصم بالخوف ، ونلوي اعناقنا بالوهم ، وننظر الى جانب واحد من الوجه.

وان كان هذا لايمنعني من أن اردد دائما ان كل تجربة دينية لابد أن تتحول الى تجربة شعرية ، وان على الشاعر ان ينتفع بكافة التجارب الدينية كتابية وغير كتابية ، وان الدين حين يرفد الشعر يظل اسمه شعرا ، اما حين يوضع الشعر في خدمة الدين فانه يبقى اى شيء الا أن يكون شعرا

مع باب « صور وكاميرا »

لم ينازعني الشك يوما في ان الشبان — من الاقاليم وغير الاقاليم — هم الذين يحركون التاريخ، والذين يدفعون بدماء جديدة الى العروق فاذا كل شيء أخضر ، ونابض ، ومثير .. وقد تحقق لي هذا حين عهد الى بمجلة نهضة افريقية ، وحين اتجهت الى اساتذة الجامعات للكتابة في هذا المجال المتخصص خذلني الكثيرون ، واذا بي اتجه الى عدد من الشبان للكتابة في هذا المجال الذي لم يكن مطروقا في هذا الوقت ، واذا بهم جميعا يلتفتون الى هذه الزاوية الجديدة بالقراءة والمناقشات ، واذا بمائة واثنتي عشرة صفحة تنبض كل شهر بالتعريف والتحليل والتخطيط لكل ما يحدث في افريقية ، الى حد انه كان يقال لي :

« **انكم اصبحتم تعرفون دبة النمل في افريقية** »

وهكذا اصبح الايمان بالشباب شيئا في سلوكي الوظيفي ، الى حد انه حين طلب الى الاسهام في مجلة الرسالة طلبت الاشراف على باب البريد الادبي لاستطيع من خلاله رفع المحار عن اللؤلؤ .

ومن هؤلاء الذين تقابلت بهم في هذا الباب الاديب خميس سلمونه من اذكو ، وقد قدمته أكثر من مرة، بل لقد استغرقتني السعادة حين اقنعت الدكتور محمد مندور ان يكتب في الرسالة عن قضية كان قد اثارها هذا الزميل ؛ وفي الوقت الذي كانت فيه احدى كلماته على « ماكينة المطبعة » كان يسدد الضربات الى المجلة والى العاملين بها في باب «صور وكاميرا» الذي يحرره الاستاذ **عبدالمنعم السباعي** ، فهو ياخذ على تحسين عبدالحي انه نقد كتابا لمصطفى نوده ، وهو ياخذ على ، وعلى عباس خضر، ومحمد النويهي انا تقابلنا في عدة مناقشات ، ولو أنصف لذكر أن مناقشاتنا كانت من الضراوة والحدة بما جعلني اتصورها دائما على « الحافة » ، وأن كلا منا كان يضيق بالآخر في فترات التلاحم لانه كان يحس انه امام خصام حقيقي ومرعب في الوقت نفسه دون ظل من مجاملة ، أو وهم من رفق ، ومهما يكن من شيء فقد آثرت ان ارد على خميس، حتى لايتصور انا نهمله مرة ثانية حين يهاجمنا ، ولنؤكد له أن الرسالة لن تغلق أمامه أبوابها ، وانها ستنتظر دائما رسائله .

اما التحية الصادقة فهي لعبد المنعم السباعي الذي عالج الموضوع بذكاء وفهم ، والذي نفذ الى داخل الرسالة ولم ياخذ بالنبرة العاطفية التي لفت الرسالة ، والتي كان يمكن ان تحمل اى قلم هزيل على البطش والخصام ، ولكنه .. قلم عبد المنعم السباعي .

الواحدية :

ذكرني زميل بالمناقشة التي دارت بيني وبين الصديق توفيق حنا ، وكيف اني حدثته عن الكلمات التي وصلت الى الرسالة ردا عليه حين ذكر عددا وفيرا من الشعراء الذين اثروا الحركة الشعرية ، وكيف انه رصد عددا كبيرا من الشعراء بعضهم من المجهولين ، في الوقت الذي تناسى فيه دور على احمد باكثير .

وقد كان لجواب توفيق حنا من الذكاء والعمق ما جعل الجميع يهدأ ، فقد قال : انه عاتب على نفسه لانه نسي دور على احمد باكثير ؛ لانه لم يكن في ذهنه شيء سوى تحطيم « الثنائية الشعرية » التي اصبحت مملة من طول ما رددت اسمى صلاح وعبدالمعطى ، ويقول لي الزميل الذي ذكرني بهذه المناقشة ترى ما موقف توفيق وكل المثقفين الآن من « **الواحدية** » الجديدة التي ظهرت في هذه الايام ؟



فلسطين

لقد عانى شعبنا العربى الكثير فى نضاله المستمر ضد الاستعمار بأشكاله المختلفة ، وكان ضياع فلسطين ـ واحتلالها على أيدى العصابات الصهيونية المدعمة بقوى الاستعمار العالمى بمثابة تحد خطير ومباشر لمدى صلابة شعبنا وقدرته على مواجهة هـذا التحدى .. وخاصة أن صراعنا مع الصهاينة ليس صراعا على حدود . بل هو صراع من أجل البقاء والوجود .. فوجودنا القومى نفسه قد أصبح فى خطر يدعونا الى المسارعة فى اتخاذ المواقف السريعة الحاسمة لمواجهة هذا التحدى .. ومن خلال ايماننا باهمية وخطورة المرحلة التى تواجهها جماهير شعبنا لاثبات وجودها ومقدرتها على التصدى لهذا الخطر .. حاولنا وفى هذه الصفحات المخصصة لباب الكتب ـ أن نقدم ـ وفى أعداد متوالية ـ زادت على العشرين عددا بعض الدراسات الخاصة بالقضية الفلسطينية من جوانبها المختلفة .. وفى هذا العدد سوف أبيح لنفسى أن أقدم « مقالة » أو دراسة تطبيقية لما قدمته طوال هذه الفترة ـ يدفعنى الى ذلك عامل هام .. هو أن مؤتمر القمة العربى الثانى سوف يعقد بعد غد .. وسوف يكون من المفيد حقا أن نلقى الضوء على بعض جوانب القضية التى يجتمع المؤتمر من أجلها ولها ـ فنحن نعيش فى مجتمع دولى طبقى تتميز فيه دول على أخرى رغم المساواة النظرية بينها فى السيادة والحقوق ، وفى هذا المجتمع الطبقى تستأثر الاقلية القوية بالنفوذ ـ فالدول الكبرى تملى سياستها على بقية دول العالم وتسيرها كما يتراءى لها ، وقد تختلف تلك الاقلية القوية بين قرن وآخر كما كان الحال خلال قرون التاريخ ـ ولكنها موجودة دائما فى صورة أو أخرى ، رغم اختلاف « القائمة » ، ورغم اختلاف القوى النسبية لكل منها .

ومشكلة فلسطين خلال مراحلها المختلفة ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى لم تخرج عن كونها مشكلة تسببت فيها سياسة بعض الدول الكبرى ـ وبالتحديد انجلترا والولايات المتحدة الامريكية .. بان سلبت هذه الدول الامة العربية حقا مشروعا ـ ثم تدرجت الى اقرار هـذا السلب وتمادت فى سياستها بعد ذلك ـ فادعت انتفاء هـذا الحق ـ وتذرعت بوجود حقوق أخرى للجانب الصهيونى ـ وطالبت العرب بالاعتراف بحقوق اليهـود ، فلما وجدت منهم مناهضة ورفضا ، راحت تنادى بوجود مشكلة فلسطينية قوامها صعوبة التوفيق بين وجهات نظر متناقضة .

ولست فى حاجة منا الى تبيان دور بريطانيا فى خلق الكيـان الاسرائيلى المزعوم ـ منذ كانت تتولى الانتداب على فلسـطين .. ولـكن المهم هنا أن نقدم البعض اليسير عن دور الولايات المتحدة الامريكية فى هذا الصدد .. اذ أن بريطانيا قامت بدورها خير قيام وسلمت اليهود أرضا عربية وتركت للولايات المتحدة مهمة تدعيم الدولة المسخ « فى فلسطين » وذكر دور الولايات المتحدة بالذات .. هو لانها هى

الدولة صاحبة المصالح البترولية الكبرى فى وطننا ٠٠ وفى الوقت نفسه هى الدولة التى قامت بالتحدى الحقيقى لقرارات مؤتمر القمة العربى الاول ٠٠ عن طريق تزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة وتزويدها كذلك بالمفاعل الذرى الذى يزيل ملوحة الماء ـ وكأنها تقول لنا ـ حتى لو حولتم مجرى نهر الاردن فاننا مصممون على أن تعيش اسرائيل رغما عنكم ولو اضطررنا الى تزويدها بالماء من البحر ٠٠ !! وسياسة الولايات المتحدة فى تماديها بتأييد وتشجيع قيام اسرائيل ثم تدعيمها ٠٠ لم تكن مدفوعة بدوافع انسانية أو أخلاقية ٠ بل كانت ومازالت مدفوعة بدوافع سياسية محضة املتها الحاجة الداخلية بالنسبة للحزبين اللذين يتصارعان من أجل كرسى الحكم وهما الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى ٠

ولنأخذ الموضوع من أساسه ٠٠ فخلاصة الموقف على مسرح السياسة الداخلية الامريكية أن الصهيونيين يستخدمون نفوذهم المالى والسياسى ويستميلون ساسة الحزبين ويصورون لهم المكاسب السياسية التى تتحقق بمؤازرتهم للصهيونية ، والدعاية الصهيونية تلهب الرأى العام مستغلة النواحى الانسانية والنفسية فى تقديم صورة مشوهة لمحنة اليهود المشردين ٠ وزعماء الحزبين الرئيسيين فى الولايات المتحدة يحلمون بالاصوات اليهودية فى الانتخابات ، وبالمال اليهودى الذى يحقق لهم النصر بتنظيم حملات الدعاية الانتخابية ٠٠

ولقد بدأ تنافس الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى كسب تأييد الناخبين اليهود منذ الحملة الانتخابية لعام ١٩٤٤ أى قبل انتهاء الحرب العالمية ٠٠

وقد قال ترومان مرة فى احدى حملاته الانتخابية ٠

« ان مرشح الحزب الجمهورى يتكلم عن فلسطين قبل ميعاد الانتخابات بعشرة أيام ، وكنت آمل أن تجرى سياستنا الخارجية على أسس لا حزبية ، ولكن اشارة المرشح الجمهورى الى فلسطين تجبرنى على الكلام ٠ اننى أؤيد اسرائيل بكل قواى » ٠

وقد قدمت الولايات المتحدة المساعدات التى كانت تستخدم فى الانفاق على تهريب الارهابيين اليهود من أوربا الى فلسطين ٠ وقد زادت هذه المساعدات عن مليون ونصف المليون من الجنيهات سنويا فى الفترة مابين ١٩٣٩ ، ١٩٤٤ الى أن أصبحت أربعة ملايين جنيه سنة ١٩٤٥ ثم وصلت الى ستة ملايين جنيه سنة ١٩٤٦ ٠ ومنذ هذه الفترة ووجود اسرائيل نفسه ماديا ومعنويا مدين لملايين الدولارات التى تقدمها لها الولايات المتحدة سنويا ٠٠ تلك الملايين التى تسلب الاحتكارات الامريكية معظمها من دماء شعبنا ومن ثرواته الطبيعية ٠٠

ولنترك جانب المساعدات الامريكية ودور بريطانيا فى خلق الكيان المسخ فى فلسطين لا لشىء الا لانه موضوع قد أصبحنا نعرفه جميعا لكثرة ما كتب عنه ٠٠ ولنتكلم قليلا عن طبيعة هذا الوجود الغازى الذى يهددنا جميعا فى حياتنا اليومية ومستقبل امتنا ٠٠ فاسرائيل تقيم مجتمعها وكيانها السياسى ومفهومها فى الوحدة القومية على أساس التمسك بالمذهبية اليهودية القائمة على وحدة الدين ، ونحن نعرف من واقع النظريات السياسية للدول الحديثة أنها تفصل فصلا كاملا بين القومية السياسية وبين العامل الدينى ، على اعتبار أن هذا العامل يقوم على أساس حرية الفرد فى عقيدته الدينية التى لا شأن لها فى مقومات الوطن أو الأمة ، وهى ترفض أيضا رفضا باتا ومطلقا قيام هذه القومية على أساس العنصر أو الدم على اعتبار أن النظريات التى نادت بها النازية مثلا ، كانت تفتقر الى الاساس العلمى المجرد ، كما تتعارض كل التعارض مع القيم الحضارية للانسان ، وقد سرقت الصهيونية ـ كحركة عنصرية تعصبية ـ شعارات القومية ، لتستخدمها فى تحقيق أهدافها الفاشية ، ولتكون الأداة التى خلقها الاستعمار القديم فى الميدان العقائدى وفى الميدانين الاقتصادى والاستراتيجى لضمان القاعدة التى يستخدمها فى توجيه ضرباته ، وفى تحقيق الاستغلال لصالحه ٠

واليهود الذين يستمدون وسائل حياتهم اليومية من كتبهم المقدسة تلك الكتب التى تزودهم بأوهام التميز على شعوب العالم تحمل لهم فى الوقت نفسه نظرة عدوانية استغلالية نحو الغير ، وتؤكد على استرقاق بقية الشعوب والتسلط على مقدراتها ، وقد جاء فى التوراة والتلمود وأشعيا وحزقيال وغيرها من الكتب المقدسة لليهود مثل هذه النصوص

الصريحة ، التى تشرح مايدعون من أفضلية واستحقاق لملكية العالم ومايعتقدون من أنهم شعب الله المختار وأن الارض جميعا بما فيها وعليها ومن عليها ميراث شرعى وأن اى شريعة تخالف شريعتهم هى شريعة باطلة فاسدة ٠٠

« ففى سفر اشعيا » فى التوراة نجد نصوصا تنضح بهذه الأفكار منها : ـ

« ويقف الأجانب يرعون أغنامكم ٠ أما انتم ـ بنى اسرائيل ـ فتدعون كهنة الرب ـ تأكلون ثروة الامم وعلى مجدهم تتآمرون »

أما التلمود ـ احد كتبهم الدينية ـ فهو ملىء بمثل هذه الافكار البربرية ٠٠ منها : ـ

ـ « ونحن شعب الله فى الارض ، سخر لنا الحيوان الانسانى وهو كل الامم والاجناس ، سخرهم لنا لانه يعلم أننا نحتاج الى نوعين من الحيوان : نوع أعجم كالدواب والانعام والطير ، ونوع كسائر الامم من أهل الشرق والغرب ٠

ان اليهودية من عنصر الله ، كالولد من عنصر أبيه ، ومن يصفع اليهودى كمن صفع الله ، يباح لاسرائيل اغتصاب مال أى كان ـ وأن أملاك غير اليهود كالمال المتروك يحق لليهودى أن يمتلكه » ٠

ـ « وكما أن بنى الانسان يسمون على الحيوانات٠ فان اليهود يسمون على شعوب الارض جميعا »

وقد طبق اليهود تعاليم دينهم بقسوة وعنف شديدين ٠٠ ونحن هنا لانستطيع أن ننسى ماذا فعل اليهود فى ٩ مارس (آذار) سنة ١٩٤٨ ٠٠ ففى الوقت الذى كانت فيه الجامعة العربية تصدر القرارات والتوصيات ـ كان الصهاينة يقومون بتنفيذ خطتهم الارهابية ـ المستمدة من نفسيتهم المعقدة وعنصريتهم الدموية البغيضة ٠٠ فذبحوا مايزيد على المائتين وخمسين عربيا ذبح الشاة فى قرية « دير ياسين » وكان من بينهم خمس وعشرون امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة برؤوس الحراب ، ومنهم اثنان وخمسون طفلا قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم ، ثم ذبحوا واجتزت رقابهم فى أحضان أمهاتهم ، ثم أجهز على الامهات ومثل بهن ، وهذا بخلاف مذابح «ناصر الدين» وبيت الخورى ، ومقبرة الزيتون ، وبيت دارس ٠٠ وغيرها ٠٠ وغيرها ٠٠

ولن ينسى شعبنا ما اقترفه اليهود فى حرب السويس عام ١٩٥٦ وكيف مارسوا ارهابهم الوحشى بأبشع صوره فى قطاع غزة ٠ مثال ذلك ما فعلوه مع الشاب الفلسطينى موسى سابا الذى صاح فى وجه معذبيه : اقتلونى بدلا من هذا التعذيب ٠

فرد عليه « بن كنعان » رئيس المخابرات الاسرائيلية السفاح فى وحشية وتعصب :

ـ لقد أجهزنا على مسيحكم تعذيبا ، ولا شىء سيمنعنا من الاجهاز عليك بنفس الطريقة !!

والأمثلة كثيرة ومتعددة لا يمكن حصرها ٠٠ تشهد كلها على أن التعصب والعنصرية اليهودية البغيضة قد فاقت كل حدود التصور ٠٠

ولقد أنشأ اليهود المغتصبون فى فلسطين مجتمعا حربيا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، وأنشأوا جيشا مدربا ومجهزا تجهيزا كاملا ليستطيع أن يتولى حماية الدولة المسخ أولا وليدفع حدودها (المزعومة) ويوسع رقعتها ثانيا ، وهدفهم البعيد من وراء هذا الجيش المدرب هو تأمين التفوق الواضح فى النوع على عنصر الكم الذى يتفوق العرب فيه ٠

ولجأ اليهود أيضا الى تطبيق نظام شديد خاص بشأن فرض الخدمة الالزامية على كل يهودى ويهودية كما طبقوا نظاما على الصغار والفتيان لغرس الروح العسكرية فيهم ، وأحدثوا أساليب جديدة للخدمة الاحتياطية تبقى المكلف على صلة مباشرة بتطورات الأسلحة والاطلاع عليها فى دورات خاصة يدعى لها فى كل سنة وتستمر حتى يبلغ اليهودى الخمسين من عمره ٠ ووضع الاستعماريون اليهود خطة التعبئة بحيث تستغرق من يوم الى ثلاثة أيام ٠٠

وهذا ـ باختصار ـ هو وضع المجتمع الغاصب الغريب المؤلف من مزيج عجيب من الجماعات القادمة من كل مكان ، من بلاد أوربا الشرقية والوسطى والغربية ومن أمريكا الشمالية والجنوبية ، ومن بلاد

الشرق الأقصى وافريقيا • هذه الجماعات التى تحمل ثقافات ومفاهيم وتقاليد متباينة ـ دفعتها دعوى « دينية ـ قومية » زائفة وحقد أسود للقدوم الى فلسطين غازية، وتريد بروح تعصبها المقوت ماوراء فلسطين لتقيم فيها دولة « اسرائيل » العظمى • ولمواجهة هذا التحدى الصهيونى الاستعمارى •• لابد لنا ان نتخلى عن أساليب العمل الحماسية ـ تلك الاساليب التى اضاعت منا فلسطين وشردت شعبها•

ان نضالنا اليوم فى أمس الحاجة الى العمل المنظم والحماسة معا •• فالحماسة والوطنية لازمتان لصون الحقوق والذود عن الاوطان ـ ولكنهما وحدهما لا تكفيان لتحقيق النصر على عدو غادر يستعمل كل الوسائل الدنيئة لتحقيق مآربه واطماعه ويستغل سياسة القوى التى تستخدمها الدول الكبرى فى الميدان الدولى ، مثل هذا العدو لا يقف عند حده ، ولا يلقى جزاء غدره وعدوانه الا بالسلاح والاعداد والتدبير المحكم •

ان الايمان والعزم قوة • ولكنها تلك القوة المعنوية اللازمة لتسخير القوة المادية التى هى الحكم الفاصل فى مجتمع دولى تقوم العلاقات فيه على السياسة المادية •

واذا كان زعماء الصهيونية أمثال وايزمان وغيره قد ساوموا بريطانيا والولايات المتحدة على قيام دولتهم المزعومة •• فقد أصبح من المحتم علينا ـ ونحن نستعد لخوض معركة وجودنا القومى ـ أن ندخل فى حسابنا ذلك العنصر الهام ـ ومن ثم يجب أن تتطور لغتنا الدبلوماسية والدولية ـ وبصورة عملية ـ من الآن فصاعدا لنتكلم بلغة المصالح العليا لأمتنا •

ان التمسك بالقيم الاخلاقية والمثل العليا ثم التعلق باهداب المواثيق والعهود والمناداة بأننا أصحاب حق ـ مغلوبون على أمرنا ـ كل هذه المفاهيم بالاضافة الى أنها لم توجد فى الماضى ، فان العالم والدول الاستعمارية بالذات لا تعرف سوى منطق الضغط والمساومة المدعمة بامكانيات العمل السريع الحاسم •

ولعل أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء شعبنا العربى المجتمعين فى مؤتمر القمة العربى الثانى ـ يتممون ما بدأوه فى مؤتمرهم الاول لكى لا يتعرض بقية شعبنا الى المصير الذى تعرض له اخوتنا فى فلسطين فيؤمنون مستقبل أمتهم ويحررون ماسلب من أرضهم ـ متخذين من الوسائل العملية مايؤكد لأعدائنا اننا فعلا غيرنا سنة ١٩٤٨• ونحن جادون فيما نفعل وما نقول •

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



ليس من طريق غير الصراع !

عندما تساءل جميل كاظم الحفاف : هل من طريق للحضارة والحياة غير الصراع ؟ في بدء مقاله « حتف الحضارة والاستعمار » بمجلة العلوم · قفزت الى ذهننا نظرة ـ ربما بدت متشائمة ـ غير أننا لم نستطع لها دفعا ·

فدوامة الحياة التي لا ترحم ، والعالم المضطرب من حولنا لايستقر له قرار ولا يدرى الى أين سينتهي به المطاف · ألى سلام وعيش رغد ؟ أم الى حرب ضروس لا تبقي ولا تذر · والأخبار تتضارب فتارة ترجح كفة السلم وأخرى نظن انها الحرب ، ونحن بين هذه وتلك لا نملك من أمرنا شيئا ، وان كنا نحلم بالحياة الطيبة ، غير أننا قد نصبح فترى ·· ماذا نرى ؟ لا شيء على الاطلاق · لسبب بسيط هو أننا ذهبنا مع من ذهبت بهم الحرب · تلعن هؤلاء المجانين الذين أشعلوها وكل همهم السيطرة على العالم · ولا يهمهم مات سكانه أم عاشوا ما داموا يتخيلون أنهم سينتصرون في النهاية ·

وبرغم بشاعة الحرب وهولها الا أنها ربما كانت أمرا مقضيا به حتى تتقدم البشرية ·

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين · »

هكذا الحياة خلقها الله ، قوى تتنازع في سبيل البقاء وفي دوامة تنازعها تدفع غريزة حب البقاء مفكريها الى الاكتشافات التي تكون دمارا في بدئها ورحمة في نهايتها · فالحرب هي التي دفعت في القديم الى اختراع العجلة ، التي ظلت تتطور الى ان صارت سيارة ، وقطارا تطوى المسافات الطويلة في الوقت القليل · ثم هي التي دفعتهم في الحديث الى تذليل مارد الذرة التي ما زالت سيفا مسلطا على رقاب البشرية ولكن نفعها بدأ يظهر في الطب والتهجين ومحطات توليد القوى ، وشق الأنهار وتمهيد الأرض للزراعة بأقل التكاليف · ولعمري انها بعد قليل ستؤدي أعظم شئون الحياة بأقل جهد ممكن ·

هكذا الحرب شر فظيع وخير منتظر في آن معا · وهكذا الانسانية خلقها الله في تنازع مستمر من يوم أن وجد آدم · وقد تظل كذلك الى النهاية ولولا هذا التنازع لما ارتقى العالم سلم الحضارة ، ولظل الانسان يحبو في ظلمات الجهالة ·

وانا لنتساءل هل الحرب قديمة ؟

يجيبنا : بنعم · كتاب الجنس البشري · ويحدثنا القرآن الكريم عن أول حرب · وهي التي وقعت بين قابيل وهابيل ابني آدم حين قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ·

ويحدثنا التاريخ أن العالم لم يمر عليه وقت دون حرب فتاريخ مصر القديم يقول ان الفراعنة كانوا

دائبي الصراع مع جيرانهم من حيثيين ونوبيين وليبيين وغيرهم الى ان تأتي قوة هائلة تصطرع معهم فتصرعهم وهي الرومان وتتولى زمام الحرب وتتنازع البقاء مع قوة أخرى وهي الفرس . ويظلان كذلك الى ان تظهر قوة فتية هي قوة العرب التي تصرع كلا الاثنين . ويستتب لها الامر قليلا ولكن هل بدون حرب ؟ كلا فهناك الحروب الداخلية والثورات التي لا تهدأ . حتى تظهر قوة همجية تكتسح أمامها الأخضر واليابس . هي قوة التتار الذين قوضوا أركان الدولة الاسلامية . ولكن قوة أخرى كانت قد ظهرت أوقفت زحفهم وانقذت العالم منهم وسيطرت هذه القوة بعض الوقت اصطدمت فيه مع الصليبيين بحروب طويلة . ثم أخيرا مع الترك الذين سادوا وكانت لهم الكلمة ولكن حربهم مع الروس والاوربيين لم تنقطع وعاش العالم بعدها في حرب طاحنة كل يريد عاق يد الآخر فهناك حروب الاستعمار في بدئه مع بلاد الشرق الأقصى . ثم حروب بين المستعمرين بعضهم مع بعض على المستعمرات ثم حروب للتحرير في أمريكا . وبلاد أوربا الواقعة تحت سيطرة الأتراك . ثم تتصارع قوى هائلة في أوربا الى أن تتبلور هذه القوى أخيرا أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية في قوتين فقط تتنازعان البقاء تركع احداهما وتسلم فتنقسم الثانية على نفسها وتصطرع ولا ندرى متى يصطدمان فتكون الحرب الثالثة .

هذا فضلا عن الحروب الصغيرة التي استمرت بعد الحرب العالمية الثانية حتى وقتنا هذا .

ومن هذه الجولة السريعة نتبين أن العالم لم يمر عليه وقت بدون حرب ، ان لم تكن بين الدول جميعا فهي بين دولتين اثنتين . أو أهلية داخل دولة واحدة . ومن يتمعن في هذا يخيل اليه أن الحرب شيء غريزي في نفوس البشر . وهي كذلك فعلا . أليس في الانسان غريزة حب البقاء . كما أن فيه غريزة التملك وكلتاهما كفيلتان باثارتها حامية الوطيس .

ولكن مع دوام الحروب دام رقي الانسان وتطوره وازدياد عدده وهذا مصداق قول الله « ولولا دفع الله الناس .. الخ » ومن يدقق النظر في سبب هذه الحروب ويسأل نفسه ما السر في نشوبها ؟ يجد جوابا بديهيا (أن الكل يريد حياة أفضل) من الحياة التي يحياها .

ففي كتاب السبيل الى عالم أفضل — ترجمة الاستاذ عبد العزيز اسماعيل : اذا استقرينا أحوال البشر في مختلف عصور التاريخ ومدنياته وجدنا أن ظروف العيش لغالبية الناس لم تكن ميسورة أو مرضية ، مما كان يحمل الناس في كل عصر على أن يحلموا بعالم أفضل يتعوضون به عن حاضرهم الراهن . راجين أن يتحقق في زمن قريب أو في مكان ما من هذه الدنيا .

فلقد حلم قدماء الاغريق بذلك العصر الذهبي الذي يرجع الى الماضي البعيد . فانبثق ذلك العصر كما تخيلوه في أوائل عهد البشرية بهذه الدنيا حيث كان الناس يعيشون كالآلهة لا يعرفون تعبا ولا نصبا .

كما كان المسيحيون الأولون يحلمون بعصر ذهبي سيسفر عنه المستقبل البعيد . يهبط فيه السيد المسيح الى العالم الجديد . ويرفع كلمة الرب وينصر دينه فيحيا الناس في عصر ترفرف عليه أعلام السلام والعدالة .

ولعل فكرة المهدي المنتظر المسيطرة على رؤوس بعض المسلمين . صدى لما في نفوسهم أيضا من الميل نحو عالم أفضل .. » غير أن تسليمنا بهذا الحلم لن يبلغ من القوة الحد الذي يرتفع به الى مرتبة الحقيقة يستوى في ذلك العصر الذي تخيلناه في بداية عهد البشرية أو نهايته ومن ثم وجب علينا أن نقنع بعصر ذهبي يرجع الى الماضي القريب أو المستقبل القريب . عصر ذهبي يحيا فيه أبناؤنا حياة ساذجة كتلك التي شهدها أجدادنا » .

من هذا الذي سبق يتبين لنا اننا دائما نحلم بعالم جميل — عالم أفضل من عالمنا الحاضر ليست فيه أطماع استعمارية ولا أغراض دنيئة . عالم يسوده السلام . وتعلو فيه كلمة الشعوب المحبة له . ولكن هيهات فما دمنا نحلم بعالم أفضل فلا سلام .

ولقد كانت الحرب على الدوام سيئة من سيئات البشر ومن الغريب أن العالم يدرك هذه الحقيقة ولكنه على الرغم من هذا مسوق نحوها باستمرار أليس هذا مما يثير الدهشة والفزع معا .

وفي حديث للدكتور حسن سعفان عن مصادر البؤس يقول « والحروب هي الأخرى مصدر كبير من مصادر البؤس في هذا العالم فهي لا تكتفي بالقضاء على الرجال وازهاق الأرواح . بل تتصدى كذلك الى المساكن والمصانع والمزارع فتحيلها جميعا الى خرائب وأطلال . وتعد الأنفس التي ذهبت ضحية الحرب العالمية الاولى بـ ٣٨ مليون نفس في

اوروبا وروسيا الى جانب آلاف الأفدنة وآلاف المشروعات الزراعية والصناعية .. الخ . التى دمرتها الحرب ، ففى انجلترا مثلا قدر عدد المساكن التى كان يجب أن تنشأ ولم يتم انشاؤها بسبب الحرب ٣٢٥ر٠٠٠ مسكن فى عام ١٩٤٥ م والمساكن التى يجب اعادة بنائها من جديد ٢١٧ر٠٠٠ مسكن أما تلك التى يجب ترميمها ٣ر١٠٠ر٠٠٠ مسكن يضاف اليها ملايين الجنيهات التى صرفت على التدمير . والتخريب ولعل الحرب تعتبر الكارثة الوحيدة التى لم يخفف التقدم البشرى فى مجال العلوم والآداب من شدتها بل لعل العكس هو الصحيح اذ أن تقدم البشرية فى ميادين العلم زاد من شدة تدميرها وتخريبها . واذا قارنا الحرب العالمية الأولى بالحرب العالمية الثانية (ولم يظهر لها احصاء صحيح للآن) اذا قارنا هاتين الحربين بما يصيب العالم اذا حدثت حرب أخرى . يظهر لنا أن الحرب تزداد فتكا بالانسانية شيئا فشيئا . فهى مصدر يزداد خطره كل يوم بخلاف المصادر الأخرى التى يخف أثرها بفضل العلم الحديث » .

كل هذا الذى ذكره الدكتور سعفان حق . ولكن اليس من الغريب أنه على الرغم من كوارث الحربين الاولى والثانية العالميتين وما قبلهما من حروب وما بعدهما من حروب الى الآن . نجد أن تعداد العالم فى ازدياد وأن الحضارة سائرة فى طريقها نحو الرقى . حقا ان هذا مما يحير . حرب تهلك وتدمر ورقى بشرى سائر فى طريقه لا يقف ولا يتخلف .

ولعل من أسباب الحرب التطلع الى حياة افضل ولكن هذا الدافع لا يظهر على أشده ولا يكشر عن أنياب الحرب الا مع أسباب أخرى واذا ذهبنا نبحث عن هذه الاسباب وجدنا أنها تتلخص فى أمرين وهما :

(أ) الخوف . (ب) الحاجة ـ وغالبا ما ينشا هذان عن البطالة وخاصة فى عصرنا هذا . والواقع أن الحرب والبطالة تتداخل كل منهما فى الأخرى تداخلا عجيبا . « فالبطالة لا تجلب لنا المتاعب الا فى أزمنة السلم على حين أنها تختفى فى زمن الحرب ، وخاصة فى العصر الحديث .

فى عام ١٩٢٩ وقع ما يسمى بالتدهور الاقتصادى العظيم وقد حدث هذا التدهور فى جميع الدول الصناعية . المانيا ـ ايطاليا ـ فرنسا ـ انجلترا ـ هولندا ـ بلجيكا .

وكانت نتيجة ذلك التدهور الاقتصادى أن تفشت البطالة فكان فى انجلترا ٤ ملايين عاطل . وفى الولايات المتحدة ١٠ ملايين عاطل واستمر هذا التدهور عشر سنوات قضتها الدول فى محاولة علاج هذه المشكلة ـ التى تهد كيانها . ثم اهتدى هتلر عندما اعتلى منصة الحكم سنة ١٩٣٣ الى أسلوب أيسر وأسرع لمعالجة البطالة . فأعلن أن المانيا أكثر حاجة الى البنادق والرصاص منها الى الزبد . وبدأ يستعد للحرب فاقام جيشا وأدار آلات المصانع ليل نهار بأقصى سرعة لكى ينتج آلات الدمار والحرب . وصرف جهود الشعب الألمانى الى انتاج وسائل الموت . وبمجرد أن أقام هذا كله أخذت البطالة فى المانيا تختفى وفى خلال سنوات قليلة لم يكن فى ألمانيا من يشكو من البطالة وأعلن الحرب سنة ١٩٣٩ م واشتبكت كل الدول فى الحرب .

فماذا حدث عندئذ ؟ اختفت البطالة فى كل تلك الدول .

وهكذا يبدو أننا نعيش فى عالم يجوع أفراده فى زمن السلم ويموتون من البطالة . فاذا ما حارب شبع أفراده ووجدوا العمل اليس هذا مصداقا عمليا لقول الله : « **ولولا دفع الله الناس .. الخ** » .

ويقول الرسول : « **جعل رزقى تحت ظل رمحى** » .

ويظهر اننا نعيش فى عالم مجنون لاعقل له يفكر به . فلكى تقضى على ضرر خفيف وهو التعطل تنساق الى ضرر أكبر وأخطر وهو الحرب حقا اننا نعيش فى عالم عجيب النظام يلجأ فى سبيل القضاء على شر الى خلق شر آخر أبلغ منه .

وما دام هناك هذا التداخل المدهش بين الحرب والبطالة فما سبب البطالة ؟

يقولون ان السبب المباشر للبطالة هو التطور الفنى للصناعة . أو النهضة الصناعية . حيث اصبح العمل الذى كان يؤديه مجموعة من الأفراد يؤديه فرد واحد . وبهذه الطريقة أصبح هناك عمال بدون عمل .

تجلت النتيجة الأولى للثورة الصناعية الفنية فى الانتاج الكبير وفتح الأسواق الوطنية والعالمية أمامه . كما أنها ظهرت واضحة فى تلك الأزمات تطرأ على سوق الأعمال التى أخذ نطاقها يتسع وخطرها يشتد عن ذى قبل ويخلق من ثم مشكلة البطالة .. التى تعطل العدد الغفير من العمال تلك المشكلة التى تظهر قبل الحرب دائما .



اغنية الى صغيرى
للشاعر الكويتى راضي صدوق

سيظل الغنـاء عذبا نديا ... وتفيض الحيـاة خصبا وريا
سيظل الفؤاد يعمر نورا ... طالما انت باسم يا بنيا
ستفيض الدموع فى حدق العين ... ويخبو الشقاء فى محجريا
ابتسم ، يا بنى ، انت صغير ... لم تزل ساذج الضمير نقيا
انت ما زلت نفحة من اريج ... ونشيدا من السماء عليا
نفحة من ضمائر الغيب ، كونا ... لم يزل غامض الرؤى ، مطويا ..
وصدى فى متاهه الروح ، يغفو ... صامت اللحن ، خاشعا ، ابديا
لا تفق من طفولة اليوم ، انى ... افتديك الشباب ، ظل نديا
انا اخشى عليك من شظف الدهر ... فتحيا على الوجود ، شقيا !
ظل طفلا تهيم فى ريق العمر ، ... ولا تغد ، فى الحياة ، عتيا
ظل كالزهرة الضحوك .. طهورا ... لا تدنس وجداك القدسيا
انما العمر ، يا بنى ، اكتئاب ... وخريف يشظ .. يصخب غيا ..
ايه يا « رائدى » الصغير تبسم ... ان فى ثغرك الجميل لرؤيا ..

على أننا لا نستطيع أن ننكر أن مجىء العصر الآلى كان له أثر اى أثر فى انه أمدنا بوسائل سريعة للمواصلات والنقل جعلت الانتقال سريعا مما كان له أثر فى التجارة وتقدم العلوم حتى انهم أصبحوا يقولون : ان العالم صار بالتقدم الآلى فى المواصلات صغيرا جدا .

ولقد قرأت فى مجلة الشرق « **ان هذا العالم ليس واحدا الا من ناحية واحدة وهى الناحية الاقتصادية التى بدا يتحد فيها** » ومعنى هذا أن العالم يختلف اختلافا بينا فى العادات والتقاليد والثقافات واللغات وأشياء أخرى كثيرة . ولكنه يسير نحو نظام اقتصادى واحد وخاصة بعد أن أصبح العالم على صلة وثيقة بكل أجزائه بواسطة المواصلات الدقيقة السريعة .

ولهذا أصبح العالم يتأثر بكل ما يدور فيه ونتيجة لذلك أصبحت مصالح الأفراد والجماعات الاقتصادية متشابكة .

ولقد كان العالم فى القديم تستطيع كل دولة فيه أن تسلك سبيلها من حرب أو سلام دون أن يؤثر ذلك كثيرا فى جيرانها ولكن العالم الآن أصبح وحدة واحدة . ان نادى من فى الشرق جاوبه من فى الغرب . ولهذا لا تستطيع دولة أن تسلك سبيلا دون أن يترك هذا صدى فى كافة أرجاء العالم .

للموضوع بقية

مصطفى فوده مصطفى

رسالة الناقد عبد الفتاح البارودى
بقلم عبد المنعم ابراهيم البحقيرى

هذه هى أول مرة التقى بهـــا معك فى بابك .. « رسـالة الفن » هذا الباب الذى يقدم لنا دراسات فنية اصيلة يحتـــاج اليها كل مثقف وكل باحـث فى رسالة الفن .. واليوم ابعث لسيادتكم بهذه الرسالة التى هى من رسـالة الفن وتحتاج الى تعليق من سيادتكم على ماتشمله :

فى جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ٢٥ — ٧ — ١٩٦٤ قرات مقالا بعنوان تطوير الفن الشـعبى ، للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف يقول فى مقاله : ان ادهم الشرقاوى لم يكن بطلا قوميا ، ولم يكن فى حياته ما يشرف البيئة الشعبية بل لقد احترف اعمال البلطجة والاجرام ، وكان فى كل جريمة يفلت من مطاردة رجال الحكومة .

لكن الذى قرأته وعرفته وسمعته ممن عاشروا ادهم الشرقاوى عكس هذا .. نعم لقد كان ادهم شابا قويا فتيا ، كما انه ليس زعيما شـعبيا ، ولكنه كان ثائرا على العادات والقوانين الظالمة التى صبها اعداء البلاد على أبناء الشعب .

ان ادهم الشرقاوى هو ذلك الشاب الذى واجه رئيس الوزراء الذى استصدر اول قانون للنفى ، ذلك السلاح الذى كان يستخدمه اعداء البلاد حين يثور ابناء الشعب على الاقطاع .

ان ادهم الشرقاوى هرب من السـجن الذى دخله بدون جريمة تستحق السجن ، هرب ليقـود ابناء قريته وليســـير بهم فى ركاب ثورة ١٩١٩ الشعبية .

ان ادهم الشرقاوى ذلك الشـــاب الذى واجــه الانجليز بالرصاص وكسر السكك الحديدية وقطع اسلاك التليفونات .

وقرية ادهم الشرقـــاوى هددهـــا الانجليز بان تكون « دنشــواى » ثانية واســـتمر الانجليز يحاصرونها ثلاثة ايام لكى يكتشفوا الجانى الذى قادهم لمناصرة ثورة ١٩١٩ وليعرفوا من الذى قطع اسلاك التليفونات وكسر قضبان السكك الحديدية

ان ادهم الشرقاوى هو الذى تقـــدم بمطالبه للاقطاع ولكل آلهة الجبروت والطغيان يقول لهم : ممنوع اضطهاد الفلاحين الفقراء ، ممنوع الاستيلاء على عرقهم . هذه هى اسـطورة ادهم الشرقاوى وقصته مع الظلم والفساد واعداء البلاد لسـت مبالغا فيها اقول بل هذا هو كلام الواقع لا الخيال وقد اوضحت الآن بعد عرض جوانب قصة ادهم .. ان فى حياته مايشرف البيئة الشـعبية أو العكس الذى اورده الكاتب فى مقاله .

واية حكومة هذه التى كانت تطارد ادهم .

انها حكومة الظلم . حكومة الاقطاع — حكومة الفساد والرشـــوة والمحسوبية وسلب العـــرق .. والحريات ..

السيد عبد الفتاح البارودى باسم الفن العربى الأصيل استحلفك ان تعلق فى باب رسالة الفن على هذا المقال .. وعلى ســؤالى الحائر .. واذا كان راى الكاتب هو الاصح فلماذا ســمحت الاذاعة بان تقدم لنا قصة أدهم على انها قصة من الادب الشعبى الاصيل ؟؟

المازنى فى برنامج « قدر ولطف »
بقلم حامد محمد محرم

فى البرنامج العام باذاعة الجمهورية العربية المتحدة كتب الأستاذ : زين العابدين عبد الله برنامج « قدر ولطف » واذيع ضمن برامج الاذاعة فى يوم الاربعاء الموافق ١٩٦٤/٦/٣ وكانت مدة البـرنامج نصف ساعة . ويدور البرنامج حول قصة موجزها :

« اسرة تشتكى وتتالم من الفقر بعد موت راعيها عند تاديته لفريضة الحج وبالرغم من قصر اليـد يطالب الابناء بمطالب كثيرة وكانت الام تطمئنهم بان فرج الله قريب .. ويظن الاولاد ان فرج الله شخص فيحــــررون له خطابا ويذهبون به الى « الحاج فرج الله » القــــريب منهم ويجيب لهم مطالبهم ويهرولون الى امهم فرحين داعين للحاج فرج الله ولكن سرعان ما تبدد فرحهم عندما قررت — الام — بضرورة ارجاع تلك الهبة .. وعنـدما يعلم الحاج فرج الله بذلك يتـــكرم بزيارتهم وكانت نتيجة الزيارة ان اصبح الحاج فرج الله صــديقا لهم وخصوصا بعد أن كشف عن صلاته الوثيقة برب الاسرة ، ولكنه يندهش لحال الاسرة ويتساءل عن مال صديقه ولكن احدا لا يعرف عنه شيء .. وتأتى

صورة أمي

بقلم : محمد الشناوي

ـ لماذا لا تأتين معنا يا أماه ... ؟ قل لها يا أبي ... أريدها معنا ...

ـ سافري أنت ياحبيبتي ،وسأبقى في انتظاركما هنا ... تعالى لأقبلك .

واندفعت « مها » في حماس ابنة السادسة ، لتلقى بنفسها بين الأحضان التي تناديها ، وغاب رأسها الصغير في ثنايا الصدر الفتي ... وطال بينهما العناق الى حد أقلق « محمود » الجالس أمام عجلة القيادة ، في سيارته التي أعدها على عجل لرحلته المفاجئة ، ولم يفلح بوق السيارة ونداؤه المتكرر ، في انتزاع « مها » الصغيرة من أحضان أمها ، فناداها «محمود» بنفسه ...

ـ هيا أسرعي يا مها ... ودعي أمك فلديها ما يشغلها عن السفر معنا ..

ورغم ما كان في صوت الوالد من قلق ، وضيق مكتوم ، الا أن الصغيرة لم تترك مكانها من الصدر

التتالج الثانية للزيارة فيسافر الحاج فرج الله ويسأل صديقا قديما عن مال صديقهما رب الأسرة فيخبره بأنه وضع ثروته في رأس غزال شارد بين السماء والأرض وتتجلى الأسرار وتعرف الأخت الكبيرة سبب تعليق رأس الغزال في الصالون . . وتسرع الى الكنز المدفون ويتبدل حال الأسرة والبركة في الحاج فرج الله ... »

وينتهي البرنامج واحمد الله على قدرتي في التحكم على اعصابي وضبط نفسي حتى نهاية البرنامج وسرعان ما جذبت صديقي الجالس بجانبي وافرغت ما في جعبتي وكانت النتيجة اننا صرنا مقتنعين بأن السيد زين العابدين اقتبس القصة من أديب عربي معروف هو ابراهيم عبدالقادر المازني ، ولكن ما هو الدليل ، وما الحجة التي تؤكد ذلك ؟ اذا كان كذلك فلابد من الرجوع الى الأصل وتقارن بينهما ..

فالقصة مقتبسة من كتاب خيوط العنكبوت للمرحوم المازني (ابريل ١٩٣٥) في ص ١٢٩ ويمكن الرجوع اليها

فما رأيك أيها القارىء العربي في ذلك التشابه ؟ الا تجد التشابه بين مضمون القصتين : فالأسرتان دون راع وكل منهما لا تعرف اين يوجد مال راعيهما .. ثم يخصص القدر الحاج فرج الله .. وكذلك الحاج أخو الست الكبيرة لكشف النقاب عن الكنز المفقود .

لقد حاول الاستاذ زين العابدين تشويه قصة المازني فجعل همه ذلك ولكن للأسف جاءت محاولاته غير محكمة الصنعة ففيها تكلف وفيها شعور غريب وهو ان الأستاذ زين العابدين لم يستطع أن يحور قصة المازني أو يعبر عن فكرة المازني في قالبه لأن ذلك بعيد كل البعد عن احساساته وشعوره ...

واريد ان اسأل الاستاذ زين العابدين هل في استطاعته تخبئة مبلغ خمسة آلاف من الجنيهات في تحفة معلقة في الصالون اظن ذلك محالا مهما كان غنى صاحبنا ... وكيف يجعل أسرة تملك خمسة آلاف من الجنيهات وتعيش في حالة بؤس .. ان تجربة المازني صادقة من اجل ذلك نطالب المسئولين باعادة النظر في برنامج « قدر ولطف » وما كتبه المرحوم ابراهيم المازني عام ١٩٣٥ ..

الجنون ، الا بعد أن دفعتها الأم بهدوء نحو باب السيارة المفتوح ٠٠٠

ـ اركبي يا حبيبتي ، حتى لا تتأخرا عن العودة الى بسرعة ٠٠٠

وأخذت المسافة بين باب المنزل وباب السيارة تتلاشى مع خطواتها ، ومع كل خطوة كانت الصغيرة تشعر بأنها تفقد قطعة من قلبها الصغير ٠٠٠ لقد جربت فراق أمها مرة ، ولذعتها ناره القاسية وليس بمقدورها أن تفقدها مرة ثانية ٠٠٠

ـ ساجدك في البيت عندما أعود ٠٠٠ ؟ لن تسافري مرة ثانية كما فعلت من قبل ٠٠٠ اليس كذلك يا أماه ٠٠٠ ؟

ـ لا تخافي يا **مها** ٠٠٠ فلن أسافر ٠٠٠ وسابقى في انتظارك يا عزيزتي ٠٠٠

واغلقت « صفية » باب السيارة ووقفت تلوح لهما بيديها في حب طاهر جذب بمغناطيسيته « مها » ، فرفعت يديها الصغيرتين تلوح بهما في اتجاه الأم ، وكأنها تلتقط بهما اشعاعات الحب تنبعث من قلب الأم ، متحدية المسافة التى تفصل بينهما ، والتى أخذت في التزايد مع اندفاع السيارة ، حتى بدت الأم من الزجاج الخلفي ـ حيث ركزت « **مها** » نظرها ـ مجرد نقطة زرقاء اختفت نهائيا ، عندما مالت السيارة الى شارع « مصر والسودان » في طريقها الى « الشرقية » حيث ينتظر السيارة وراكبيها ، ماض استعصى على الموت ، بل على مجرد النسيان ٠٠٠

ويئست « **مها** » من التحديق في صورة تلاشت، فتنهدت بأسى وأدارت رأسها الى والدها ، الذى كان مشغولا عنها طوال الوقت ، وتململت في جلستها بضع مرات ، ولكن محاولاتها في لفت نظره لم تأت بنتيجة ، وضايقها هذا الاهمال ، أكثر مما ضايقها هذا الخوف الغامض من رحلة مفاجئة تفارق فيها البيت والأم ، تماما كما حدث منذ ٠٠٠ ولكن ، يستحيل أن يتكرر هذا ، فقد أكدت لها الأم أنه لن يحدث ، وهى لم تجرب على أمها كذبا ٠٠٠ لقد غابت عنها من قبل فجأة ٠ ولم تكن قد سألتها أما هذه المرة ، فهى مطمئنة الى أنها ستعود وتجدها فى انتظارها ٠ ولكن أباها ٠٠٠ ما شأنه ٠٠٠ ؟ لماذا يبدو متجهما صامتا ، على غير عادته معها ، هل يخشى هو أيضا أن يعود فلا يجد الأم ؟! غير ممكن أن يحدث هذا ٠ والا لأخبرته الأم أنها ستغيب ٠٠٠ اذن ٠ ماذا يضايقه ؟ هيا يا « مها » لاعبيه ، وامرحي معه ، فهو يحب مداعباتك ٠٠٠

ـ **اريد سماع الراديو يا أبى ٠٠٠**

وشملها بنظرة فارغة افزعتها فانكمشت على نفسها ، ولم تجد أية متعة ، بل مجرد رغبة فى سماع الأغنية التى انطلقت مع الحركة الآلية التى قام بها « محمود » عندما فتح « الراديو » استجابة لرغبة الصغيرة العزيزة ٠٠٠

وأحس هو بالضيق ، بل بالأسى ، من نظرة العتاب الحزين التى ساطته بها ابنته « أعرف يابنتى انك مندهشة بل حزينة ، لهذا الذى تظنينه اعراضا عنك ، ولكن ، ما حيلتى ؟! ماذا بوسعى أن أصنع لكى أهبط بالموقف الى مستوى ادراكك ، أو أرتفع بذهنك الغض الى مستوى الاحداث التى تعتصرنى بكل بشاعتها ٠٠٠ أرجوك ٠٠٠ أتوسل اليك يا صغيرتى الحلوة ٠٠٠ لا تفتحى عينيك على سعتها وتحدقين فى فى صمت هكذا ٠٠٠ انك لا تدرين اى عذاب أجلد على احتماله عندما ارى عينيك مفتوحتين هكذا ٠٠٠ مثلها ٠٠٠ تماما يا « مها » ولكن ٠٠٠ ويحى ، لقد أعمتنى المصيبة فنسيت أنك نسيت كل شئ ٠٠٠ حتى هى ٠٠٠ التى لم تنسك وهى تغمض عينيها للمرة الأخيرة ٠٠٠ تماما كما تفعلين الآن لتنامى بعد أن يئست من استجابتى لمداعباتك ، وستستيقظين من نومك يا مها ٠٠٠ اما هى فقد نامت الى الأبد ٠٠٠ استراحت رغم أنفها من « شقاوتك » الحلوة ، وتركت لى كل شئ ٠٠٠ انت يا صغيرتى ، والخوف على مستقبلك الذى طالما جلست معها الليالى الطوال لنرسمه ونعيد رسمه آلاف المرات ، ونضيف فى كل مرة شيئا جديدا ، نتوهم أنه سيجعل مستقبل أيامك يا حلوة أجمل مما نرجو وأسعد مما نؤمل ٠٠٠ ولكن هذا كله ضاع ٠٠٠ ضاع يا صغيرتى مع زفرة خرجت من صدر أمك الى الأبد ، ولم تعد ، وتركتنى وحدى ٠٠٠ مع الذكريات ٠٠٠ اجترها فى صمت ، وتحرقنى فى صمت أيضا ، لأنه لم يعد من حقى أن أمارس الذكريات مجرد ممارسة ، فى العلن ، فلم اعد ملك نفسى يا مها ٠٠٠ فأنا الآن أسير حبك ، والخوف عليك مما قاسيته فى طفولتى ، وأسير حق مشروع لسيدة لم تسىء الى مطلقا ، بل عاونتنى على الخروج من محنتى بأقل قدر من الجراح ٠٠٠ ،

وامتدت يده اليمنى تتحسس الرأس الصغير الملتصق به ، وتداعب الشعر الأسود الناعم ، وتنهد في أسى ... « نفس الشعر الأسود يا « مها » لك نفس شعرها ، الذى أحببته منذ الصغر ... هناك ... فى القرية ، ذكريات يا صغيرتى ... ذكريات تنهال على الآن فى قسوة ، بعضها غائم متداخل الملامح ، وبعضها واضح كل الوضوح ، كهذا اليوم الذى غير مجرى حياتى وحياتها يا حبيبتى ... يوم ظهرت نتيجة امتحانى النهائى ...

كنت شابا فى عنفوان الشباب مختالا بنفسه ، وبليسانس الحقوق الذى يحمله ، وشاعرا كل الشعور بنظرات التقدير التى تنهال على من كل أبناء القرية التى يحكمها أبى العمدة ... وكانت هى يا « هو » أمك ... ابنة العم ورفيقة الصبا التى شبت معى منذ الصغر ، نسمة حب حانية رطبت قيظ حياتى التى أجدبت منذ وفاة أمى وأنا بعد طفل صغير ... وكبر حبنا يا صغيرتى معنا ، وجاء اليوم الذى أستطيع أن أقول فيه لأبى بشجاعة ، اننى أحبها وأريدها شريكة لكفاحى هنا ... فى القرية ... ورحب أبى بزواجنا وباركه ، ولكنه حاول منعى من البقاء فى القرية كما عزمت ، وجرب كل وسائل الاغراء والتهديد ليحول بينى وبين رفض الوظيفة التى لاحت تباشيرها فى الأفق ... أو على الأقل ، لكى أرضى كبرياءه فافتتح مكتبا للمحاماة ، أغيظ به خصومه ومنافسيه ، ولكننى كنت أشعر أن مهمتى أخطر وأجل من مجرد الوظيفة أو افتتاح مكتب للمحاماة ... كان أهلى ـ وأهلك ـ يا « **مها** » يئنون من جرائم « الخواجة طناشى » وزبانيته ، ودخلت المعركة وحدى ، لا يسندنى سوى حبها يا ابنتى ، واستطاعت أمك أن تمدنى بطاقة نفسية هائلة صمدت بها فى معركتى مع « الخواجة » المرابى ، ورغم عوامل اليأس التى لاحقتنى وأحاطت بى من كل جانب ، فقد تحول الأمر فى نفسى الى ما يشبه العقيدة ... يجب أن أخلص أهلى ، من براثن « طناشى » وأحابيله ، وتتابعت الموجات حولى ، بعضها يحمل الأغراء وبعضها يحمل التهديد ... ولكن حبنا يا صغيرتى وايماننا بالمستقبل الذى نصنعه معا ، انتصر ... وأصبحت القرية ذات صباح ، فاذا بطناشى ، يصفى أعماله ، واذا بالقرية كلها لا تعرف فى تعاملها الا شابا ، أمينا صادقا مخلصا ، يتعامل مع الجميع بشرف وأمانة ، ويكتفى بأقل القليل من الربح ، ويمد يده بالعون للصغير ويقف بجوار الكبير اذا احتاج اليه ... وكان هذا الشاب هو أنا .. والدك يا « **مها** » ... وانتهت سنوات الكفاح ، وجاءت لحظة النصر ، وقد أصبحت القرية قريتنا فعلا ... وأصبح القطن قطننا بحق ... وكان حقا على ، وقد وفت أمك بعهدها معى ، أن أوفى لها بعض الدين ، وأرد لها بعض الجميل ، وأسرعت بها الى كبار الاخصائيين ليتولوا أمر علاجها ... كان أبى يلاحقنى بنظراته المستعطفة فى بداية الأمر ، فلما طال الزمن ولم تحمل أمك تحول تلميح أبى الى التصريح ، « يجب أن تتزوج ما دامت هى عاقرا » وترامت العبارات القاسية الى أمك فطعنت عزة الأنثى فيها ، فاذا بها تطلب منى أن أتزوج لأرضى أبى أو ... أطلقها ... ولكن ... **أهذا معقول يا مها** ... ؟ أطلق أمك ... رفيقة الصبا ، وابنة العم الغالية ... ؟ حاشا الحب أن يحدث هذا فليحدث أى شىء الا هذا ... وذهبنا معا الى القاهرة ... وعدنا معا من رحلة العلاج ... وأنت مجرد بسمة صغيرة يهمس بها الغيب فى أحشاء أمك ... ومرت شهور الحمل يا حلوة ، لذيذة سعيدة ، تحمل كل ليلة حلما لنا عن مستقبلك ، ويشرق كل صباح مع أمنية جديدة نصلى بها لك عندما تقدمين ... وجاءت اللحظة التى طال بنا الشوق اليها عشرين عاما كاملة ... ويومها قررت أن أذهب بك يا حبيبتى الصغيرة ومعك حبيبتى الكبيرة ... أمك ... الى القاهرة ، لكى تنشأ ابنة الكفاح والحب ، حيث أستطيع أن أعطيها فى مستقبل أيامها كل ما فاتنا أنا وأمك فى طفولتنا البسيطة بالقرية .. وفى القاهرة يا « **مها** » لم يمهلنا القدر طويلا ، فقد حملت أمك بعد ولادتك بأربع سنوات ، رغم أن الأطباء حذروها من خطورة حمل جديد ، بعد عسر لقيته مع مولدك ... واخفت عنى هى هذا الحمل، فقد كان بها شوق لأخ لك يا عزيزتى ... ولم يطل الأمر كثيرا ... فقد كنت أقف بباب حجرة العمليات ، وقع فجأة ... ورأيته بقلبى أكثر مما سمعته بأذنى ... وأحنى الطبيب الملثم رأسه فى أسى وهو يفسح لى طريقا الى الداخل ... وكان جو الحجرة مليئا بالموت ... العقاقير النفاذة ورائحة المخدر ... ومنظر الدماء ... و ... أمك المسجاة ... أحسست أن الحياة كلها قد توقفت أمام كلمة تلفظ بها المحتضرة ... كلمة واحدة

قالتها أمك عندما تنبهت لوجودى ··· (**مها** ··· بنتى ··· مها ···) وماتت ومات معها الحب ··· والحياة ، وخرجت يا حبيبتي وفي رأسى صرخة تدوى ··· فيتردد صداها في كياني ··· « لن تحس ابنتى باليتم » ، ورفضت من أجلك كل شيء ... حتى الحياة ... خاصمتها ، وعشت من أجلك بعيدا عن القرية وعن كل ما يمكن أن يذكرك بها وبموتها ··· كنت أريد أن أحميك من لحظة التمزق التى يكتوى بنارها اليتيم ··· وقد عشت هذه اللحظات فى طفولتى بكل قسوتها ··· ومن أجلك يا ابنتى ، ولكى أنجو بك من عذاب فقدان الأم ··· ابتعدت عن العالم وكدت انتزع نفسي من الماضي ... تصورى عندما تكبرين انسانا بلا ماض ، بلا لحظة ذكرى بلا مكان ينتمى اليه ، ولكنك هدمت كل هذا بسؤال بسيط صفعت به كل أحلامى ··· ··· « **اين أمى يا أبى ؟** » ولم يجد معك الجواب التقليدى ··· بأنها سافرت ··· ويومها فكرت في الزواج ··· فى الحصول على أم لك يا مها ··· وكان شرطى غريبا وقاسيا فى زوجة المستقبل ··· ووجدتها تشبه الراحلة الى حد كبير ··· وكانت « صفية » ذات قلب كبير ، فهمتني ، ساعدتنى على اجتياز اللحظة الحرجة ··· واستطعنا اقناعك أنا وهى ، بأنها ··· أمك التى سافرت و ··· عادت من أجلك ··· وكان اللقاء بينكما مؤثرا ، وعادت الحياة تفتح ذراعيها لتستقبل عبثك من جديد ، وعاد النور يسرق من بسمتك ما يحتاج اليه من نضارة ··· لم تعكرها لحظة كدر ، سوى اليوم ، عندما وصلتنى البرقية التى تعلن الى أن جدتك لأمك محتضرة وتطلب رؤيتك ، وقد كان من الممكن أن أرفض ، خوفا من افتضاح اللعبة التى لعبتها معك لكى أنجو بك من عذاب الشعور بالحرمان من الأم ، لولاها ··· صفية ··· أمك الجديدة ··· التى بلغ من ايمانها بحبك لها أن قبلت التحدى وألحت على بضرورة الذهاب بك لزيارة المريضة ··· واذا كنت حتى الآن لم أدرك حقيقة الدافع الذى حدا بها الى هذا التصرف ، هل هو ثقة الانثى بنفسها ··· أم هو التعاطف الخفى بين المرأة والمرأة فى المحن ··· ؟ لا أعلم على وجه اليقين ··· ولكن الذى لا أشك فيه ·· انها محنة ··· أدعو الله أن نخرج منها يا ابنتى بسلام ··· استيقظى يا مها ·· استيقظى يا ابنتى فقد قاربنا أن نصل الى بيت جدتك ··· بل لقد وصلنا فعلا ··

ـ حمد الله على سلامتك يا أستاذ محمود ··· أهلا مها ···

وتدافعت عشرات الأيدي تختطف الصغيرة النائمة ··· لتسرع بها الى فراش الجدة التى تبدأ رحلة الموت ···

ـ مها ··· بنتى ···

وعادت المريضة الى سكرات الموت تعالجها ، وعاد الوجوم يخيم على الجالسين حولها ··· وثقل الموقف الحزين على قلب الطفلة الغض فتسللت مبتعدة ، وقد شغل عنها القوم بما هم فيه ··· وانتبه « محمود » فلم يجدها ، وركبه الفزع من ان ينفرد بها أحد من ذوى قرباها ، فيخبرها عن غير قصد بوفاة أمها ، الأمر الذى بذل حياته كلها ليتفادى وقوعه ··· وأسرع الأب الخائف بالخروج من الحجرة ، واخذ يبحث عنها فى كل حجرة وخلف كل باب ··· وفجاة وجدها ··· فى حجرة الجلوس ... كان ظهرها الى الباب وعيناها مشدودتان الى صورة تركت سهوا على الجدار ـ رغم تنبيهه ـ وانحنى بجوارها ··· لم تكن قد أحست بدخوله ··· وامسك بيدها فى هدوء · فادارت وجهها نحوه ··· ونظرت اليه فى صمت · وفى عينيها دمعتان جامدتان ··· ومرة واحدة انهار تجلدها ، فارتمت بعنف على صدره وهى تشهق شهقة محرقة وتنقل بصرها بين عينيه و ··· عينى أمها ··· فى الصورة المعلقة على الحائط ··· وضغط على أعصابه ليتجاهل الموقف رغم بشاعته ، وسألها بصوت بذل جهد الجبابرة ليبدو طبيعيا ···

ـ مها ··· لماذا تبكين يا حبيبتى ؟ ···

ولم ترد عليه ··· لم يكن في مقدورها أن تجيبه الا بكلمة واحدة اندفعت تكررها بصوت ممزق وهى تدفن وجهها الصغير ·· فى صدره الباكى ···

ـ أمى ··· أمى ··· أمى ···



العدد ٥٩

الثمن ٣ م

الدار القومية للطباعة والنشر